# مقـالات ٢٠٢٢

نشرت في جريدة الأهرام المصرية

## أ.د. محمد الخشت

أستاذ الفلسفة ورئيس جامعة االقاهرة

www.elkhosht.com

# الفهرس

## يناير ٢٠٢٢


الرئيس والخطاب الدينى «٣» ---------- ٢ يناير ٢٠٢٢
الرئيس والخطاب الدينى «٤» ---------- ٩ يناير ٢٠٢٢
الرئيس والخطاب الدينى «٥» ---------- ١٦ يناير ٢٠٢٢
الرئيس والخطاب الدينى «٦» ---------- ٢٣ يناير ٢٠٢٢
الرئيس والخطاب الدينى «٧» ---------- ٣٠ يناير ٢٠٢٢


## فبراير ٢٠٢٢


توثيق الطلاق وفقه المصالح العامة ---------- ٦ فبراير٢٠٢٢
الطلاق الحرام والمسكوت عنه فى العقل الجمعى (١) ---------- ٢٠ فبراير ٢٠٢٢
الطلاق الحرام والمسكوت عنه فى العقل الجمعى (٢) ---------- ٢١ فبراير ٢٠٢١
أسئلة إلى العبد الصالح! (٤) ---------- ٢٧ فبراير ٢٠٢٢


## مارس ٢٠٢٢


أسئلة إلى العبد الصالح! (٥) ---------- ٦ مارس ٢٠٢٢
أسئلة إلى العبد الصالح! (٦) ---------- ٢٠ مارس ٢٠٢٢


## ابريل ٢٠٢٢


أسئلة إلى العبد الصالح! (٧) ---------- ٣ أبريل ٢٠٢٢
أسئلة إلى العبد الصالح! (٨) ---------- ١٠ أبريل ٢٠٢٢
أسئلة إلى العبد الصالح! (٩) ---------- ١٧ أبريل ٢٠٢٢


## مايو ٢٠٢٢


أسئلة إلى العبد الصالح! (١٠) ---------- ١ مايو ٢٠٢٢
أسئلة إلى العبد الصالح! (١١) ---------- ٨ مايو ٢٠٢٢
أسئلة إلى العبد الصالح! (١٢) ---------- ١٥ مايو ٢٠٢٢
أسئلة إلى العبد الصالح! (١٣) ---------- ٢٢ مايو ٢٠٢٢
أسئلة إلى العبد الصالح! (١٤) ---------- ٢٩ مايو ٢٠٢٢

## يونيو ٢٠٢٢

من الخطاب الديني إلى الاقتصاد الجديد ---------- ٥ يونيو ٢٠٢٢

--- الاقتصاد الرقمي ..... ---------- ١٢ يونيو ٢٠ ٢٢

الاقتصاد الرقمي والقضاء على الغباء الهيكلي ---------- ١٩ يونيو ٢٠٢٢

النظم الخبيرة في الإدارة ---------- ٢٦ يونيو ٢٠٢٢

## يوليو ٢٠٢٢

قضايا التنمية والاقتصاد الرقمي ---------- ٣ يوليو٢٠٢٢

الذكاء الاصطناعي والدولة الحديثة ---------- ١٧ يوليو٢٠٢٢

التقدم والبشر وبيئة الأعمال ---------- ٢٤ يوليو ٢٠٢٢

حلم الوحدة الاقتصادية العربية ---------- ٣١ يوليو ٢٠٢٢

## أغسطس ٢٠٢٢

نحو نمط جديد للوحدة العربية ---------- ٧ أغسطس ٢٠٢٢

نحو نمط جديد للوحدة العربية (٢) ---------- ١٤ أغسطس ٢٠٢٢

نحو نمط جديد للوحدة العربية (٣) ---------- ٢١ أغسطس ٢٠٢٢

## سبتمبر ٢٠٢٢

الاقتصاد والإصلاح الديني (١) ---------- ٤ سبتمبر ٢٠٢٢

الاقتصاد والإصلاح الديني (٢) ---------- ١٨ سبتمبر ٢٠٢٢

## اكتوبر ٢٠٢٢

الاقتصاد والإصلاح الديني (٣) ---------- ٢ أكتوبر ٢٠٢٢

الاقتصاد والإصلاح الديني (٥) ---------- ١٦ أكتوبر ٢٠٢٢

الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد(١) ---------- ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٢

## نوفمبر ٢٠٢٢

الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٢) ---------- ١٣ نوفمبر ٢٠٢٢

الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٣) ---------- ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٢

## ديسمبر ٢٠٢٢

الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٤) ---------- ١١ ديسمبر ٢٠٢٢

الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٥) ---------- ١٢ ديسمبر ٢٠٢١

# الرئيس والخطاب الدينى «٣»

٢ يناير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

## د. محمد الخشت

من يزرع الشوك لن يجنى الكريز.. ومن يزرع منهجية حفظ المتون والتطرف والتعصب لن يجنى العقلانية والاعتدال والتسامح. ومن يزرع الانغلاق والجمود لن يجنى التجديد والنماء. ومن يضع عينيه خلف رأسه، لن يستطيع أن ينظر إلى الأمام! ومن يعيش فى الماضى لن تستطيع أفكاره أن تتحرك سوى إلى الخلف، هذا إن تحركت أصلا!

من هنا واصل الرئيس عبد الفتاح السيسى إصراره على ضرورة تصويب الخطاب الدينى فى خطبه المختلفة، واستمر فى إعطاء رسائل جديدة وعديدة. وقد رصدنا بعضا منها فى المقالين السابقين، حيث استخلصنا منها ٢٦ دلالة تؤكد وجود رؤية واضحة المعالم فى خريطة عمل «تصويب الخطاب الدينى» التى تعمل عليها القيادة السياسية المصرية. ونواصل اليوم رصد بعض الرسائل الأخرى ونستخرج منها دلالات إضافية، تصل إلى ١٥ دلالة جديدة، ومن ثم يكون أمامنا حتى الآن ٤١ دلالة.

ففى ٢٧ أكتوبر ٢٠١٦، وجه الرئيس عبدالفتاح السيسى خلال توصيات مؤتمر الشباب بشرم الشيخ، الحكومة بالتعاون مع الأزهر والكنيسة وجميع الجهات بالدولة بوضع ورقة عمل وطنية تمثل إستراتيجية لوضع أسس سليمة لتصويب الخطاب الدينى فى إطار الحفاظ على الهوية المصرية بجميع أبعادها الحضارية والتاريخية، وتنظيم عقد حوار مجتمعى موسع لترسيخ القيم والمبادئ والأخلاق.

وفى العام نفسه وفى أقل من شهرين، أكد الرئيس، خلال كلمته أمام الاحتفال بذكر المولد النبوى الشريف فى ٨ ديسمبر ٢٠١٦، أهمية تصويب الخطاب الدينى وتنقية التراث بما يتناسب مع العصر، حيث قال: «نحن لا نتحدث عن ترف أو رفاهية وإنما عن موضوع يجب التوقف عنده منا جميعا... حتى نرى ما يحدث وما نفعله وما هو المطلوب فى هذا الخصوص». وفى هذا الخطاب، أكد «أن أول التحديات التى نعانى منها منذ فترة.. هو انفصال خطابنا الدينى عن جوهر الإسلام ذاته.. وعن احتياجات عصرنا الحالى.. إننا تحدثنا من قبل فى هذا الأمر.. وأجمع علماؤنا ومفكرونا على احتياجنا الماس لتحديث الخطاب الدينى.. لتصويب ما تراكم داخله من مفاهيم خاطئة.. سواءٌ تراكمت بفعل مرور الزمن وتعاقب السنين.. أو بفعل فاعلين أرادوا إخفاء نوايا الشر بداخلهم وراء غطاءٍ مقدس.. يبررون به إرهابهم للأبرياء من خلْق الله.. ويُعطون لأنفسهم حصانةً من العقاب.. وهو آتٍ لهم لا ريب.. بقدر ما أفسدوا فى الأرض وتسببوا فى كثيرٍ من الأذى والدمار والألم»، ودعا بشكل واضح إلى العودة إلى صحيح الإسلام وأصل رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر.. وضرورة تحديث التفسيرات التى اجتهد فيها السابقون.

وقد عد الرئيس تصويب الخطاب الدينى وتحديثه معركة فكرية كبرى.. معركة يجب أن نستمر فيها ونستكملها.. مع استكمال باقى جوانب المعركة ضد الإرهاب، فلا مكان للإرهاب وجماعاته وأفكاره وممارساته داخل مصر.. كما أكد أن «مواجهة الإرهاب بالوسائل العسكرية والأمنية ستستمر.. وستظل تضحيات أبنائنا من القوات المسلحة والشرطة المدنية مصدر إلهام وإعزاز لكل مصريٍّ ومصرية.. ولن تضيع هدراً.. بل ستثمر وطناً آمناً أبيّاً ننعَّم فيه وينعم أبناؤنا بالحياة الكريمة».

وينظر الرئيس إلى موضوع تصويب الخطاب الدينى وتحديثه على أنه ضرورة قصوى للدفاع عن قضية الإيمان، وعبر عن استيائه من أن «فكرة الأديان بأكملها أصبحت فى عالمنا اليوم تُنتهك ويتم الرجوع عنها والتحسب منها فى ضوء ما يشهده العالم من أعمال وحشية ترتكب باسم الدين، مما جعل بعض الناس تنبذ الفكر التكفيرى بل وتكفر بفكرة الأديان بأكملها»، مما يجعل تصويب الخطاب الدينى أحد أهم القضايا على الإطلاق.

وأكد الرئيس مجددا أن تصويب الخطاب الدينى يجب ألا يمس الثوابت، بل هو دعوة لاستخدام مفردات العصر ومقتضياته والاجتهاد من أجل تحديث التفسيرات والتوصل إلى الفهم الحقيقى للدين حتى يُمكن التغلب على حالة التشرذم التى تعانى منها المجتمعات، ولاسيما فى مصر.

وعلى جانب آخر حذر من سعى البعض لترويع الناس بالدين وهدم الدولة من أجل أفكار هدامة، وينفقون فى سبيل ذلك أموالاً طائلة، وراهن هؤلاء على ضياع الوطن. وهنا ربط الرئيس بين تصويب الخطاب الدينى والدولة الوطنية؛ حيث أوضح أنّ رؤية مصر لمنطقة الشرق الأوسط تقوم على احترام سيادة الدولة الوطنية.. وعلى حقّ المجتمع الدولى على التكاتف من أجل القضاء على جماعات الإرهاب.. وعلى عدم التفرقة بين الأخطار التى تمثلها تلك الجماعات ومعاملتها جميعاً بمعيارٍ واحد. ودعا إلى الاقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام فى الجرأة والشجاعة التى واجه بها الكريم قضايا عصره، وهنا انتقل الرئيس إلى الوضع الاقتصادى للبلاد وما يحتاجه من قرارات جريئة من أجل إحداث إصلاحٍ هيكلى.. يصلُ إلى جذور بنيته ولا يكتفى بالفروع والقشور.. حتى يحدث إصلاحٌ حقيقى وتوفير حياةٍ أفضل لكل مصرى ومصرية.. وتصبح مصر عزيزة قوية مزدهرة.

والسؤال الآن: ما أهم الدلالات التى يمكن الخروج بها من هذه الرسائل الصادرة عام ٢٠١٦؟

١ـ تصويب الخطاب الدينى أحد أهم القضايا على الإطلاق.

٢ــ تصويب الخطاب الدينى وتحديثه معركة فكرية كبرى يجب أن نستمر فيها ونستكملها.

٣ــ مسئولية تصويب الخطاب الدينى تقع على الحكومة بالتعاون مع الأزهر وجميع الجهات بالدولة. وعلى ذلك فإن نطاق المسئولية يتسع، فلا احتكار للخطاب الدينى، فالحكومة مسئولة مع كل مؤسسات الدولة.

٤ــ أول التحديات التى نعانى منها منذ فترة.. هو انفصال خطابنا الدينى عن جوهر الإسلام ذاته.. وعن احتياجات عصرنا الحالى.

٥ــ ضرورة تحديث التفسيرات التى اجتهد فيها السابقون، وتنقية التراث بما يتناسب مع العصر، باستخدام مفردات العصر ومقتضياته والاجتهاد العلمى.

٦ــ تحديث الخطاب الدينى.. لتصويب ما تراكم داخله.

٧ــ ظهور المفاهيم الخاطئة.. جاء نتيجة التراكم الزمنى، وأيضا نتيجة جهود قوى الشر التى تتقنع بأقنعة مقدسة.

٨ ــ العودة بشكل واضح إلى العودة إلى صحيح الإسلام وأصل رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر.

٩ــ تصويب الخطاب الدينى يجب ألا يمس الثوابت.

١٠ــ الربط العضوى بين تصويب الخطاب الدينى والدولة الوطنية.

١١ــ تصويب الخطاب الدينى ليس بمعزل عن الوطن والظرف التاريخى الذى يمر به.

١٢ــ الحفاظ على الدولة الوطنية يستلزم الاستمرار فى مواجهة الإرهاب بالوسائل العسكرية والأمنية.

١٣ــ ضرورة الحفاظ على الهوية المصرية بجميع أبعادها الحضارية والتاريخية فى أى محاولة لتصويب الخطاب الدينى.

١٤ــ وجوب الاقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام فى الجرأة والشجاعة التى واجه بها الكريم قضايا عصره. ومن ثم علينا أن نواجه تحديات عصرنا بجرأة وشجاعة ومن أهمها التطرف والإرهاب والتحدى الاقتصادى.

١٥ــ المقصد من كل ذلك هو إجراء إصلاح هيكلى حقيقى حتى تصبح مصر آمنة، متقدمة، مهابة الجانب، تنعم بالقوة والرفاه الاجتماعى.

# الرئيس والخطاب الدينى «٤»

٩ يناير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

## د. محمد الخشت

فى عالم متغير ومضطرب يموج بقوى الإرهاب الدموى والتطرف الدينى والرجعية الثقافية، تظهر أولوية الحاجة الملحة لتصويب الخطاب الدينى.

ولذا عاد الرئيس ليؤكد أن تصويب الخطاب الدينى أحد أهم المطالب الواجب تطبيقها فى النطاق الإقليمى وعبر العالم الإسلامى كله، وذلك خلال منتدى شباب العالم فى ٤ نوفمبر ٢٠١٨، حيث أشار إلى أن تصويب وتصحيح الخطاب الدينى أحد أهم المطالب اللى نحتاج إليها فى منطقتنا أو فى العالم الإسلامى على الإطلاق، وليس من الممكن القول إن مفردات وآليات وأفكار تم التعامل بها من ١٠٠٠ سنة وكانت صالحة فى عصرها، لا تزال صالحة فى عصرنا. وأكد أن هذا لا يعنى أى تغيير فى الدين، ولكن هذا أمر مهم جدا، كما تساءل مستنكرا عن كيفية إقناع أصحاب العقول والرأى والمعنيين بهذا الأمر بأن عندهم مشكلة حقيقية فى خطابهم وفهمهم للدين الذى يتم يتعامل به فى هذا العصر. وعليه فإنه يجب إيجاد مفردات لخطاب دينى تتناسب مع عصرنا، وبعد ٥٠ سنة سوف نظل بحاجة أيضا إلى تطويرها بتطور المجتمعات.

ومن الملاحظ أنه ظهرت بعض من المفردات والمفاهيم التى يجب العمل عليها فى تصويب الخطاب الدينى على الصفحة الرسمية للرئيس، فقال: «التجربة المصرية فى التآخى، والعيش المشترك، والمشاركة المجتمعية المتساوية أحد أهم عناصر بناء السلام الاجتماعي». وأضاف الرئيس: «الدولة مسئولة عن إنشاء دور العبادة للمواطنين، ولمصر تجربة ناجحة فى اعتماد قانون موحد لدور العبادة»، متابعًا: «تصحيح الخطاب الدينى أحد أهم المطالب التى تحتاجها مصر والعالم».

وقد تجلى بوضوح تصور الرئيس للقرآن الكريم، فى العديد من خطبه الرسمية، بوصفه كتاب هداية للناس، ورحمة للعالمين، ومنهاجًا قويما، يحفظ للناس حقوقهم ودماءهم وأعراضهم وأموالهم، ويبين لهم واجباتهم إزاء أنفسهم ومجتمعاتهم وأوطانهم. ومن الخطب التى ظهر فيها تصور الرئيس للقرآن الكريم خطابه خلال الاحتفال بليلة القدر ٢ يونيو ٢٠١٩، وقد برزت بوضوح فى هذا الخطاب مجموعة من المفردات، مثل: الخير، والرخاء، الأمن، والأمان، والاستقرار، والازدهار. كما ظهرت دوائر الأمة العربية والإسلامية، والإنسانية جمعاء. مما يعكس أن مفاهيم تصويب الخطاب الدينى لا تخص مصر وحدها، بل تتسع لدوائر أكبر، وأن رؤية الدولة المصرية تتحرك على محاور متعددة.

وتتضح أيضا من هذا الخطاب، فكرة «استلهام روح الدين»، وكأن تصويب الخطاب الدينى يستلزم استعادة الروح وليس الحرف. ويعنى هذا العودة لمقاصد الدين التى تؤكد «معانى الرحمة والخير، والامتثال لأوامر القرآن الكريم والنبى العظيم (صلى الله عليه وسلم) الذى أوصانا بالتراحم والتكاتف، والبر وصلة الأرحام، والوفاء بالحقوق والواجبات، والعمل الدؤوب لعمارة الكون وصناعة الحضارات».

وإذا كان حفظ القرآن نعمة، فإن تمام هذه النعمة «يتطلب منا جميعا حسن الفهم لمعانى القرآن الكريم ومقاصده السامية والتحلى بأخلاقه الكريمة، ونبذ كل عوامل الفرقة والتعصب الأعمى المقيت، إعلاءً لكلمة الله عز وجل، وإنفاذًا لتعاليم دينه السمحة التى نستقيها من كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الذى ترجم هذه القيم النبيلة إلى سلوك وأفعال، فكان بحق خلقه القرآن، فما أحوجنا اليوم لتطبيق هذه القيم العظيمة وتحويلها إلى واقع وسلوك عملى اقتداء برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم». وفى هذا السياق ألح على «تصحيح المفاهيم الخاطئة»والتصدى للغلو والتطرف الفكرى، ونشر سماحة الدين، والتعريف بجوهر الإسلام الحقيقى الذى يدعو إلى التسامح والرحمة وإعمال العقل، فى خضم هذه الأمواج العاتية من التشدد والتطرف الفكرى بما يحمله من مخاطر حتى على الدين نفسه».

وتجلى فى هذا الخطاب بوضوح أن الهدف الأساسى هو «الحفاظ على جوهر الدين وتوعية النشء والشباب، لإدراك مخاطر الفكر المتطرف من جهة وحجم التحديات والمخاطر من جهة أخرى»، ونظرا لكون الخطاب الدينى الواعى المستنير أحد أهم عناصر المواجهة مع الفكر المتطرف الهدام، فقد عبر الرئيس عن أمله وتطلعه إلى «بذل مزيد من الجهد والعمل المستمر لنشر الفهم والإدراك السليم بقضايا الدين والوطن من أجل تحقيق مستقبل أفضل لنا ولأبنائنا وللأجيال القادمة».

وتجلت طريقة فهم الرئيس لمفهوم خيرية الأمة، فهذه الخيرية ليست بلا قيد ولا شرط، قال: «ولنتذكر دائمًا أن أمتنا هى خير أمة أخرجت للناس ما اعتصمت بحبل الله (عز وجل) وتحصنت بالوعى والعمل، كما أؤكد أهمية إعلاء لغة الحوار واحترام الآخر والإيمان بحق التنوع والاختلاف، وترسيخ أسس المواطنة والعيش الإنسانى الكريم المشترك لتحقيق الأمان والسلام للجميع».

وتتمثل أهم الدلالات التى يمكن الخروج بها من هذه الرسائل فى تصويب الخطاب الدينى، على النحو التالي:

١ــ المفردات والآليات والأفكار التى تصلح للماضى لا تصلح فى عصرنا، والحاجة إلى مفردات لخطاب دينى يتناسب مع العصر مستمرة بتطور المجتمعات.

٢ــ لا تعنى الحاجة إلى مفردات خطاب دينى يتناسب مع العصر أى تغيير فى الدين نفسه.

٣ــ توجد إشكالية فى إقناع أصحاب العقول والرأى والمعنيين بهذا الأمر، أن عندهم مشكلة حقيقية فى خطابهم وفهمهم الدين الذى يتم يتعامل به فى هذا العصر.

٤ــ تصويب الخطاب الدينى أحد أهم عناصر بناء السلام الاجتماعى على التآخى، والعيش المشترك، والمشاركة المجتمعية المتساوية.

٥ــ تأكيد مسئولية الدولة عن إنشاء دور العبادة للمواطنين بمختلف أديانهم.

٦ــ فهم القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية للناس، ورحمة للعالمين، ومنهاجًا قويما، يحفظ للناس حقوقهم ودماءهم وأعراضهم وأموالهم، ويبين لهم واجباتهم إزاء أنفسهم ومجتمعاتهم وأوطانهم.

٧ــ من مفردات تصويب الخطاب الديني: الخير، والرخاء، الأمن، والأمان، والاستقرار، والازدهار، مقاصد الدين، معانى الرحمة والخير، التراحم، والتكاتف، والبر، وصلة الأرحام، والوفاء بالحقوق والواجبات، والعمل الدؤوب لعمارة الكون وصناعة الحضارات.

٨ــ مفاهيم تصويب الخطاب الدينى لا تخص مصر وحدها، بل تتسع لدوائر أكبر، ورؤية الدولة المصرية تتحرك على محاور متعددة.

٩ــ ظهور فكرة «استلهام روح الدين»، فتصويب الخطاب الدينى يستلزم استعادة الروح وليس الحرف.

١٠ــ نبذ كل عوامل الفرقة والتعصب الأعمى المقيت.

١١ــ الغلو والتطرف الفكرى والأمواج العاتية من التشدد تحمل مخاطر حتى على الدين نفسه.

١٢ــ الهدف الأساسى هو «الحفاظ على جوهر الدين»من أجل تحقيق مستقبل أفضل لنا ولأبنائنا وللأجيال القادمة.

١٣ــ خيرية الأمة ليست بلا قيد ولا شرط، بل مشروطة بالاعتصام بحبل الله، والتحصن بالوعى والعمل.

١٤ــ إعلاء لغة الحوار واحترام الآخر والإيمان بحق التنوع والاختلاف، وترسيخ أسس المواطنة والعيش الإنسانى الكريم المشترك لتحقيق الأمان والسلام للجميع.

وبهذه الدلالات الـ ١٤، تكون لدينا حتى الآن ٥٥ دلالة مستخلصة من رسائل الرئيس فى تصويب الخطاب الدينى.

# الرئيس والخطاب الدينى «٥»

١٦ يناير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

إن تصويب الخطاب الدينى ركن ركين من أركان الدولة الوطنية للحفاظ على تماسكها فى مواجهة مؤامرات التخريب وتفكيك أوصال الدولة ومحاولات هدم مؤسساتها وتمزيقها إلى دويلات متناحرة تحت الشعارات الدينية المزيفة التى ترفعها تيارات التطرف والإرهاب، سواء كانت تيارات مغيبة الوعى أو تيارات تعمل لصالح أجندات دول أجنبية من بقايا الامبريالية العالمية.

لقد ظل الرئيس مصرا على تجديد دعوته لتصويب الخطاب الدينى عاما بعد عام، من خلال رؤية واضحة المعالم، تحافظ على الثوابت وتعود إلى صحيح الدين. وأعاد الرئيس خلال جلسة «اسأل الرئيس» ضمن فعاليات المؤتمر الوطنى الثامن للشباب فى ١٤ ديسمبر ٢٠١٩، تأكيده ضرورة تحديث الخطاب الدينى دون الاقتراب من ثوابت الدين، ونبه رجال الدين إلى ضرورة النظر إلى التأثيرات الوخيمة الناتجة عن عدم المواجهة الفكرية والتقاعس عن تصويب الخطاب الديني، واستنكر عدم انتباه البعض وعدم تصديقهم حقيقة تأخرنا ٧٠٠ سنة عن حركة التطور، مضيفا أن «الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يخلق أديانا تصطدم مع التطور الدنيوي». ودعا الرئيس فى كلمته التى ألقاها نيابة عنه الدكتور مصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء خلال افتتاح مؤتمر الأزهر العالمى لتجديد الفكر الإسلامى الذى انطلقت أعماله بالقاهرة فى ٢٧ يناير ٢٠٢٠، المؤسسات الدينية، إلى أن تولى أهمية لتجديد الخطاب الديني، قائلا إنه: «من رحمة الله بنا أن شرع لنا أحكاما ثابتة، وأحكاما تتغير وفقا للتطور، وأن الفتوى تتغير من بلد لبلد، ومن عصر لعصر، ومن شخص لشخص».

وأكد أن قضية الوعى الرشيد تقف على رأس متطلبات مكافحة الإرهاب فى خطابه فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف عام ٢٠٢٠، وشدد على أن فهم صحيح الدين يعد أمرا على أجندة أولويات مواجهة أهل التطرف والتعصب والشر الذين يعملون على تحريف تفسيرات النصوص وإخراجها من سياقها، بهدف إعطاء معان خاطئة لها تحقق أهدافهم. وفى مقابل ذلك الفريق، فإن الدين قام على الرحمة، وشريعة الإسلام شريعة سمحة تقوم على البناء لا الهدم، وذلك تبيانًا لقول الله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»، بكل ما تحمله كلمة العالمين من معانى العموم والشمول والسعة، فمقاصد الأديان قائمة على تحقيق مصالح البلاد ومنفعة العباد من خلال السماحة واليسر، وليس من خلال التطرف والتشدد والعسر. من هنا تتطلب المرحلة «الاستمرار فى المهمة والمسئولية الثقيلة التى يقوم بها علماء الدين لتصحيح المفاهيم الخاطئة وتصويبها، لنحمى المجتمع والدولة من مخططات التخريب، وليدرك العالم أجمع سماحة الدين الإسلامى العظيم الذى يتأسس على الرحمة والتسامح والتعايش السلمى بين الناس جميعاً».

وقال الرئيس فى هذا الخطاب بالنص: «مما لا شك فيه أن بناء الوعى الرشيد، يتطلب تضافر كافة المؤسسات الدينية والتربوية والثقافية والإعلامية للإسهام فى بناء الشخصية القوية السوية والقادرة على مواجهة التحديات والتمييز بين الحق والباطل، وبين الوعى السديد والوعى الزائف، وبين الحقائق والشائعات».

وهنا يجب التوقف عند العبارة السابقة لنقرأها مرة أخرى، حيث نجد تأكيد «تضافر كافة المؤسسات الدينية والتربوية والثقافية والإعلامية»، ثم نذهب إلى العبارة التالية فى الخطاب والتى يقول الرئيس فيها: «إننى أؤكد أننا فى حاجة إلى مضاعفة الجهد المبذول من جميع مؤسسات ومنظومة بناء الوعي، للوصول إلى جميع شرائح المجتمع فى هذه المرحلة الفارقة من تاريخ أمتنا ومنطقتنا والعالم من حولنا». لاحظ هنا عزيزى القارئ تأكيد آخر من الرئيس «الحاجة إلى مضاعفة الجهد المبذول من جميع مؤسسات ومنظومة بناء الوعي».

وفى هذا الخطاب زاد وضوحا أن دعوة الرئيس لتصويب الخطاب الدينى تهدف إلى «دعم الخطاب الدينى الوسطى المستنير»، ذلك الخطاب الذى يُعمل العقل، ذلك العقل الذى وهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان وميزه بها وشرفه على سائر مخلوقاته، وكما يقول الرئيس فإن الله دعا «من خلال تلك النعمة العظيمة إلى البحث والتدبر فى ملكوت السماوات والأرض.. وما يحتويه من دقة فى الصنع.. وإبداع فى الخلق.. وإحكام فى النظام.. وفرض علينا أن نصون هذه النعمة المميزة والمنحة الفريدة.. ونهانا عن أن نسيء إليها بخرافات وأوهام أو أن نتبع أفكارا هدامة.. بتعصب أعمى أو بانصياع يسلب الإرادة والقدرة على التفكير، والإبداع، والعمل، والإنتاج».

وبإعادة قراءات موقف الرئيس أعلاه يمكن القول إننا أمام مجموعة من الدلالات التى يمكن استخلاصها، منها دلالات جديدة ومنها دلالات سبق استخلاصها من خطابات سابقة للرئيس، لكنه أعاد تأكيدها نظرا لكونها دلالات جوهرية تستلزم إعادة الذكر مرات ومرات حتى يعى المتلقى هذا المعنى، وهى  سواء الجديدة أو المعاد تأكيدها- على النحو التالي:

١ ــ تصويب الخطاب الدينى ركن ركين من أركان الدولة الوطنية فى مواجهة مؤامرات تفكيك أوصال الدولة وتخريب مؤسساتها.

٢ ــ عدم الاقتراب من ثوابت الدين عند تصويب الخطاب الديني.

٣ ــ تنبيه رجال الدين إلى ضرورة النظر إلى التأثيرات الوخيمة الناتجة عن عدم المواجهة الفكرية والتقاعس عن تصويب الخطاب الديني.

٤ ــ استنكار عدم انتباه البعض وعدم تصديقهم حقيقة تأخرنا ٧٠٠ سنة عن حركة التطور.

٥ ــ الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يخلق أديانا تصطدم مع التطور الدنيوي.

٦ ــ الشريعة تتضمن أحكاما ثابتة، وأحكاما تتغير وفقا للتطور، والفتوى تتغير من بلد لبلد، ومن عصر لعصر، ومن شخص لشخص.

٧ ــ فهم صحيح الدين أمر على أجندة أولويات مواجهة الذين يعملون على تحريف تفسيرات النصوص وإخراجها من سياقها، بهدف اعطاء معان خاطئة لها تحقق أهدافهم.

٨ ــ شريعة الإسلام شريعة سمحة تقوم على البناء لا الهدم.

٩ ــ تتطلب المرحلة الاستمرار فى المهمة والمسئولية الثقيلة لتصحيح المفاهيم الخاطئة وتصويبها، لنحمى المجتمع والدولة من مخططات التخريب.

١٠ ــ بناء الوعى الرشيد، ليس مهمة مؤسسة واحدة، بل يتطلب تضافر كافة المؤسسات الدينية والتربوية والثقافية والإعلامية.

١١ ــ دعم الخطاب الدينى الوسطى المستنير.

١٢ ــ إعمال العقل فى البحث والتدبر، والتحذير من الخرافات والأوهام والأفكار الهدامة.

١٣ ــ عدم التعصب الأعمى أو الانصياع الذى يسلب الإرادة والقدرة على التفكير، والإبداع، والعمل، والإنتاج.

وبهذه الدلالات ١٣، يكون لدينا حتى الآن ٦٨ دلالة مستخلصة من رسائل الرئيس فى تصويب الخطاب الدينى مشتملة على بعض الدلالات المعاد تأكيدها، سواء نظرا لأهميتها أو نظرا للحاجة إلى تأكيدها مجددا وباستمرار حتى تنزل من عقل المتلقى منزلا من الفهم والإدراك.

# الرئيس والخطاب الدينى «٦»

٢٣ يناير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

## د. محمد الخشت

يعرف الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو الحرية تعريفا قانونيا فيقول: «الحرية هى ما يسمح به القانون».. فالحرية ليست هى الفوضى وليست اتباع الأهواء، والحرية تقف عند حدود القانون، ويجب أن تقف عند حدود حقوق الأخرين من حياة وأعراض وأموال وخصوصيات...إلخ. كما يجب أن تقف عند حدود حرية الأخرين، فلكل منا دوائر تمثل المساحة الخاصة المصونة. وإلا سقط القانون وضاعت مقاصده، وسقط النظام العام الذى يحكم العلاقة بين الناس، وسقط عماد الدولة. وكما أن دماء الناس مصونة، فإن أموالهم وأعراضهم وسمعتهم وخصوصياتهم مصونة، والقانون الذى يتهاون فى أى من ذلك إنما يفتح مجالا للإرهاب الدموى أو اللفظى أو المعنوي؛ ويؤثر تأثيرا بالغا على سلامة المجتمع واستقراره.

فى الجزء الأخير من خطاب الرئيس فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف عام ٢٠٢٠، وقف عند قضية شائكة يوظفها كل الأطراف المتناحرة توظيفا نفعيا بعيدا عن الضوابط التى يجب أن تحكمها، وهى قضية الحرية، سواء كانت حرية الإيمان والاختيار والاعتقاد، أو وحرية الفكر، حيث أوضح: «أن رسالة الإسلام التى تلقيناها من الرسول الكريم جاءت انتصارًا للحرية... حرية الإيمان والاختيار والاعتقاد.. وحرية الفكر.. إلا أن تلك الحريات لم تأت مطلقة حتى لا تحولها أهواء النفس البشرية إلى فوضى تبيح التخريب والتدمير... كما أن تلك الحريات ينبغى أن تقف عند حدود حريات الآخرين... تحترم الجميع ولا تخرج عن المنظومة المُحكمة التى خلق الله الكون فى إطارها.. فما قد يعتبر قيدًا على الحريات إنما يصون بالمقابل الحقوق فى مواجهة الآخرين». وهنا أتذكر حديثا حسنه الترمذى وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ».

وعرج من قضية الحرية إلى إشكالية التطرف، تلك الإشكالية الناتجة عن التقنع بأقنعة دينية، فيبرر المتطرف أفعاله اللأخلاقية بشعارات دينية، يقول الرئيس: «إن تبرير التطرف تحت ستار الدين هو أبعد ما يكون عن الدين، بل إنه مُحرَم ومُجرَم».وهنا أيضا أتذكر ما رواه إنجيل متى عن المسيح عليه السلام: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم». ومن أسف فإن المتطرفين يوظفون الدين توظيفا أيديولوجيا للوصول إلى منافع شخصية ضاربين بالمصلحة العامة ومقاصد الدين عرض الحائط، وحسب تعبير الرئيس فإن ما يفعله المتطرفون: «لا يتعدى كونه أداةً لتحقيق مصالح ضيقة ومآرب شخصية».

ودفاعا عن الإسلام ضد أولئك الذين يحاولون إلصاق الإرهاب والتطرف به، يؤكد الرئيس على أن ظاهرة التطرف لا تخص أتباع دين معين دون غيره، بل هى ظاهرة تطال بعض الأتباع من جميع الديانات؛ فنجد فى كل دين متطرفين، يقول: «دعونا نتفق على أن هذا التطرف لا يمكن قصره على دين بعينه... ففى جميع الديانات، وبكل أسف، يوجد المتطرفون الذين يسعون لإذكاء روح الفتنة، وإشعال نار الغضب والكراهية... وهى الأفكار التى لا تثمر إلا عن تغذية خطاب التناحر والحض على التباعد والفرقة».

وقد وصل الأمر بنوع من أنواع المتطرفين إلى حد التعرض إلى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام، وحاولوا مس مكانته بالباطل، وفى مقابل هذا النوع من المتطرفين نوع آخر يرد عليهم بالعنف والإرهاب، بينما جوهر ديننا يستلزم التسامح.. وتظهر هذه المعانى فى قول الرئيس: «حتى أن سيرة النبى العطرة لم تسلم من ذلك التطرف... وأؤكد للجميع أن مكانة سيد الخلق النبى العظيم فى قلوب ووجدان المسلمين فى كل أنحاء العالم لا يمكن أن يمسها قول أو فعل، كما أؤكد الرفض القاطع لأى أعمال عنف أو إرهاب تصدر من أى طرف تحت شعار الدفاع عن الدين أو الرموز الدينية المقدسة... فجوهر الدين هو التسامح.... ولنستلهم معًا فى هذا الإطار الدروس والعبر من سيرة نبينا (صلى الله عليه وسلم) الذى أرسله ربه (عز وجل) ليتمم مكارم الأخلاق، فرسخ (صلى الله عليه وسلم) أسس التعايش وقبول الآخر والإيمان بالتنوع، فلا إكراه فى الدين»..

وفى نهاية هذا الخطاب، ينتهى الرئيس إلى محاولة تحويل الاحتفال بمولد النبوى من مجرد احتفال أجوف إلى ذكرى تقدم دافعا متجددا لتعمير البلاد ونشر الرحمة والتسامح والسلام، وهنا تتضافر رسالة الدين مع رسالة مصر الحضارة والتاريخ، يقول: «وختامًا، فلنجعل من ذكرى مولده (صلى الله عليه وسلم) نبراسًا يضئ لنا الطريق، لنعمر، ونحقق المفهوم الحقيقى للرحمة فى مواجهة جماعات القتل والتخريب، ولنجعل من وطننا صورة مشرقة لفهم وتطبيق صحيح الدين وتحقيق مقاصد الشرع الحنيف، حتى نبعث برسالة من مصر مهد التاريخ والحضارة الإنسانية تؤكد سماحة الأديان وتجعلها سبيلًا لسلام العالم وتراحم البشرية جمعاء». وما كل هذا إلا بغرض الوصول بمصر إلى كل «تقدم ورفعة».

ويضعنا هذا القسم من خطاب الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف عام ٢٠٢٠، أمام مجموعة من الدلالات التى يمكن استخلاصها، على النحو التالي:

١ـ تأكيد حرية الإيمان والاختيار والاعتقاد، وحرية الفكر.

٢ـ رفض توظيف الحرية توظيفا نفعيا بعيدا عن الضوابط الموضوعية والقانونية التى يجب أن تحكمها.

٣ـ رفض اعتبار الحريات مطْلقة ومتروكة للأهواء النفس البشرية.

٤ـ الحريات ليست فوضى تبيح التخريب والتدمير.

٥ـ ينبغى أن تقف الحريات عند حدود حريات الآخرين...

٦ـ تحترم الجميع ولا تخرج عن المنظومة المُحكمة التى خلق الله الكون فى إطارها.

٧ـ وجود ضوابط وقيود على الحريات إنما يصون بالمقابل الحقوق فى مواجهة الآخرين.

٨ ـ إشكالية التطرف تنتج عن التقنع بأقنعة دينية.

٩ ـ تحريم أى تبرير مزيف يقوم به المتطرف لأفعاله اللأخلاقية تحت شعارات دينية.

١٠ـ كشف التوظيف الأيديولوجى للدين الذى يقوم به المتطرفون للوصول إل منافع شخصية ضاربين بمقاصد الشرع والمصلحة العامة عرض الحائط.

١١ـ الدفاع عن الإسلام ضد أولئك الذين يحاولون إلصاق الإرهاب والتطرف به؛ فظاهرة التطرف لا تخص أتباع دين معين دون غيره، بل هى ظاهرة تطول بعض الأتباع من جميع الديانات.

١٢ـ الأفكار المتطرفة لا تثمر إلا عن تغذية خطاب التناحر والحض على التباعد والفرقة.

١٣ـ رفض صارم لما يقوم به نوع من أنواع المتطرفين من التعرض لسيرة النبى عليه الصلاة والسلام، ومحاولة مس مكانته بالباطل، وفى الوقت نفسه رفض منهج الذين يردون عليهم بالعنف والإرهاب.

١٤ـ مكانة سيد الخلق النبى العظيم فى قلوب ووجدان المسلمين فى كل أنحاء العالم لا يمكن أن يمسها قول أو فعل.

ترسيخ النبى عليه الصلاة والسلام لأسس التعايش وقبول الآخر.

١٥ـ الإيمان بالتنوع، ولا إكراه فى الدين.

١٦ـ تحويل الاحتفال بالمولد النبوى من مجرد احتفال أجوف إلى ذكرى تقدم دافعا متجددا لتعمير البلاد ونشر الرحمة والتسامح والسلام فى العالم.

١٧ـ تضافر مقاصد الدين مع رسالة مصر الحضارة والتاريخ.

١٨ـ الغرض من كل ذلك الوصول بمصر إلى كل «تقدم ورفعة».

هكذا يكون أمامنا حتى الآن ٨٦ دلالة مستخلصة من رسائل الرئيس فى تصويب الخطاب الدينى، وتتقاطع جميعها مع خطاب آخر هو خطاب التعمير والتنمية والسلام.

# الرئيس والخطاب الدينى «٧»

٣٠ يناير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

## د. محمد الخشت

يعرف الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو الحرية تعريفا قانونيا فيقول: «الحرية هى ما يسمح به القانون».. فالحرية ليست هى الفوضى وليست اتباع الأهواء، والحرية تقف عند حدود القانون، ويجب أن تقف عند حدود حقوق الأخرين من حياة وأعراض وأموال وخصوصيات...إلخ. كما يجب أن تقف عند حدود حرية الأخرين، فلكل منا دوائر تمثل المساحة الخاصة المصونة. وإلا سقط القانون وضاعت مقاصده، وسقط النظام العام الذى يحكم العلاقة بين الناس، وسقط عماد الدولة. وكما أن دماء الناس مصونة، فإن أموالهم وأعراضهم وسمعتهم وخصوصياتهم مصونة، والقانون الذى يتهاون فى أى من ذلك إنما يفتح مجالا للإرهاب الدموى أو اللفظى أو المعنوي؛ ويؤثر تأثيرا بالغا على سلامة المجتمع واستقراره.

فى الجزء الأخير من خطاب الرئيس فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف عام ٢٠٢٠، وقف عند قضية شائكة يوظفها كل الأطراف المتاحرة توظيفا نفعيا بعيدا عن الضوابط التى يجب أن تحكمها، وهى قضية الحرية، سواء كانت حرية الإيمان والاختيار والاعتقاد، أو وحرية الفكر، حيث أوضح: «أن رسالة الإسلام التى تلقيناها من الرسول الكريم جاءت انتصارًا للحرية... حرية الإيمان والاختيار والاعتقاد.. وحرية الفكر.. إلا أن تلك الحريات لم تأتِ مطْلقة حتى لا تحولها أهواء النفس البشرية إلى فوضى تبيح التخريب والتدمير... كما أن تلك الحريات ينبغى أن تقف عند حدود حريات الآخرين... تحترم الجميع ولا تخرج عن المنظومة المُحكمة التى خلق الله الكون فى إطارها.. فما قد يعتبر قيدًا على الحريات إنما يصون بالمقابل الحقوق فى مواجهة الآخرين». وهنا أتذكر حديثا حسنه الترمذى وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ».

وعرج من قضية الحرية إلى إشكالية التطرف، تلك الإشكالية الناتجة عن التقنع بأقنعة دينية، فيبرر المتطرف أفعاله اللأخلاقية بشعارات دينية، يقول الرئيس: «إن تبرير التطرف تحت ستار الدين هو أبعد ما يكون عن الدين، بل إنه مُحرَم ومُجرَم». وهنا أيضا أتذكر ما رواه إنجيل متى عن المسيح عليه السلام: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم». ومن أسف فإن المتطرفين يوظفون الدين توظيفا أيديولوجيا للوصول إلى منافع شخصية ضاربين بالمصلحة العامة ومقاصد الدين عرض الحائط، وحسب تعبير الرئيس فإن ما يفعله المتطرفون: «لا يتعدى كونه أداةً لتحقيق مصالح ضيقة ومآرب شخصية».

ودفاعا عن الإسلام ضد أولئك الذين يحاولون إلصاق الإرهاب والتطرف به، يؤكد الرئيس على أن ظاهرة التطرف لا تخص أتباع دين معين دون غيره، بل هى ظاهرة تطال بعض الأتباع من جميع الديانات؛ فنجد فى كل دين متطرفين، يقول: «دعونا نتفق على أن هذا التطرف لا يمكن قصره على دين بعينه... ففى جميع الديانات، وبكل أسف، يوجد المتطرفون الذين يسعون لإذكاء روح الفتنة، وإشعال نار الغضب والكراهية... وهى الأفكار التى لا تثمر إلا عن تغذية خطاب التناحر والحض على التباعد والفرقة».

وقد وصل الأمر بنوع من أنواع المتطرفين إلى حد التعرض إلى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام، وحاولوا مس مكانته بالباطل، وفى مقابل هذا النوع من المتطرفين نوع آخر يرد عليهم بالعنف والإرهاب، بينما جوهر ديننا يستلزم التسامح.. وتظهر هذه المعانى فى قول الرئيس: «حتى أن سيرة النبى العطرة لم تسلم من ذلك التطرف... وأؤكد للجميع أن مكانة سيد الخلق النبى العظيم فى قلوب ووجدان المسلمين فى كل أنحاء العالم لا يمكن أن يمسها قول أو فعل، كما أؤكد الرفض القاطع لأى أعمال عنف أو إرهاب تصدر من أى طرف تحت شعار الدفاع عن الدين أو الرموز الدينية المقدسة... فجوهر الدين هو التسامح.... ولنستلهم معًا فى هذا الإطار الدروس والعبر من سيرة نبينا (صلى الله عليه وسلم) الذى أرسله ربه (عز وجل) ليتمم مكارم الأخلاق، فرسخ (صلى الله عليه وسلم) أسس التعايش وقبول الآخر والإيمان بالتنوع، فلا إكراه فى الدين»..

وفى نهاية هذا الخطاب، ينتهى الرئيس إلى محاولة تحويل الاحتفال بمولد النبوى من مجرد احتفال أجوف إلى ذكرى تقدم دافعا متجددا لتعمير البلاد ونشر الرحمة والتسامح والسلام، وهنا تتضافر رسالة الدين مع رسالة مصر الحضارة والتاريخ، يقول: «وختامًا، فلنجعل من ذكرى مولده (صلى الله عليه وسلم) نبراسًا يضئ لنا الطريق، لنعمر، ونحقق المفهوم الحقيقى للرحمة فى مواجهة جماعات القتل والتخريب، ولنجعل من وطننا صورة مشرقة لفهم وتطبيق صحيح الدين وتحقيق مقاصد الشرع الحنيف، حتى نبعث برسالة من مصر مهد التاريخ والحضارة الإنسانية تؤكد سماحة الأديان وتجعلها سبيلًا لسلام العالم وتراحم البشرية جمعاء». وما كل هذا إلا بغرض الوصول بمصر إلى كل «تقدم ورفعة».

ويضعنا هذا القسم من خطاب الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف عام ٢٠٢٠، أمام مجموعة من الدلالات التى يمكن استخلاصها، على النحو التالي:

١ـ تأكيد حرية الإيمان والاختيار والاعتقاد، وحرية الفكر.

٢ـ رفض توظيف الحرية توظيفا نفعيا بعيدا عن الضوابط الموضوعية والقانونية التى يجب أن تحكمها.

٣ـ رفض اعتبار الحريات مطْلقة ومتروكة للأهواء النفس البشرية.

٤ـ الحريات ليست فوضى تبيح التخريب والتدمير.

٥ـ ينبغى أن تقف الحريات عند حدود حريات الآخرين...

٦ـ تحترم الجميع ولا تخرج عن المنظومة المُحكمة التى خلق الله الكون فى إطارها.

٧ـ وجود ضوابط وقيود على الحريات إنما يصون بالمقابل الحقوق فى مواجهة الآخرين.

٨ ـ إشكالية التطرف تنتج عن التقنع بأقنعة دينية.

٩ ـ تحريم أى تبرير مزيف يقوم به المتطرف لأفعاله اللأخلاقية تحت شعارات دينية.

١٠ـ كشف التوظيف الأيديولوجى للدين الذى يقوم به المتطرفون للوصول إل منافع شخصية ضاربين بمقاصد الشرع والمصلحة العامة عرض الحائط.

١١ـ الدفاع عن الإسلام ضد أولئك الذين يحاولون إلصاق الإرهاب والتطرف به؛ فظاهرة التطرف لا تخص أتباع دين معين دون غيره، بل هى ظاهرة تطول بعض الأتباع من جميع الديانات.

١٢ـ الأفكار المتطرفة لا تثمر إلا عن تغذية خطاب التناحر والحض على التباعد والفرقة.

١٣ـ رفض صارم لما يقوم به نوع من أنواع المتطرفين من التعرض لسيرة النبى عليه الصلاة والسلام، ومحاولة مس مكانته بالباطل، وفى الوقت نفسه رفض منهج الذين يردون عليهم بالعنف والإرهاب.

١٤ـ مكانة سيد الخلق النبى العظيم فى قلوب ووجدان المسلمين فى كل أنحاء العالم لا يمكن أن يمسها قول أو فعل.

ترسيخ النبى عليه الصلاة والسلام لأسس التعايش وقبول الآخر.

١٥ـ الإيمان بالتنوع، ولا إكراه فى الدين.

١٦ـ تحويل الاحتفال بالمولد النبوى من مجرد احتفال أجوف إلى ذكرى تقدم دافعا متجددا لتعمير البلاد ونشر الرحمة والتسامح والسلام فى العالم.

١٧ـ تضافر مقاصد الدين مع رسالة مصر الحضارة والتاريخ.

١٨ـ الغرض من كل ذلك الوصول بمصر إلى كل «تقدم ورفعة».

هكذا يكون أمامنا حتى الآن ٨٦ دلالة مستخلصة من رسائل الرئيس فى تصويب الخطاب الدينى، وتتقاطع جميعها مع خطاب آخر هو خطاب التعمير والتنمية والسلام.

# توثيق الطلاق وفقه المصالح العامة

٦ فبراير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

لا شك أن ازدياد معدلات الطلاق في المجتمع، وتعرض كثير من الأسر للانهيار المفاجئ، أمر يجب ألاّ يمر بسهولة، لما لذلك من آثار مباشرة وغير مباشرة على الاستقرار النفسي والاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي لأفراد الأسرة، بل على جميع جوانب الدولة الأخرى؛ فالمواطن هو ركن الدولة، وبه تستقر أركانها الأخرى السياسية والاقتصادية والأمنية، ومن ثم تأخذ في عملية التقدم، لاسيما أن المجتمع في النهاية هو مجموع أفراده.

إن ازدياد معدلات الطلاق أمر له تداعيات على المجتمع ككل، فاستقرار الفرد له علاقة ديالكتيكية مع استقرار المجتمع. وأظن أن المجتمع العام سوف يتأثر تأثرا شديدا إذا ما كانت نسبة عالية من مجموع أفراده مشوشة ومشغولة بمشاكلها الشخصية وصراعاتها الأسرية. بل أظن أن هذا سوف يكون له تأثير مباشر على مجموع الإنتاج الاقتصادي. وسوف يؤثر على الاستقامة السلوكية للأبناء الذين يعيشون في حالة تفكك أسري، ولذا نجد أن كثيرا من الجرائم تأتي من أفراد جاءوا من خلفية أسرية مفككة. أضف إلى هذا إنهاك الجهاز القضائي بنزاعات تستمر سنين أمام ساحات القضاء، وأيضا إشغال الجهاز الإداري والمالي بتنفيذ الأحكام الصادرة في مثل هذه الأمور. ولذا يجب دراسة ظاهرة ازدياد معدلات الطلاق من زوايا كثيرة، لعل من أهمها إعادة النظر في المفاهيم العقلية التي تحكم كثيرا من قطاعات المجتمع؛ حيث إن تلك المفاهيم هي التي تؤثر في السلوك الحاكم للأفراد في مثل هذه الأمور. إن الفكر هو محرك السلوك، وأي إصلاح يجب أن يبدأ من هنا، من إعادة تشكيل طريقة التفكير التي تسيطر على عقول الناس وتحرك سلوكهم. وهنا دور المؤسسات الثقافية والتعليمية والاجتماعية والإعلامية والدينية.

إذن، إن موضوع الطلاق ليس أمر دينيا بحتا، بل هو أمر يخص مجالات أخرى عديدة ومتعددة، ومن بينها علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم القانون، والأنثروبولوجيا، وعلوم الثقافات.

ولذا فإن تأسيس خطاب ديني جديد، ليس بمعزل عن الرؤية الإصلاحية الشاملة للمجتمع، وليس بمعزل أيضا عن إعمال علوم عديدة في القضايا الاجتماعية. إن الدراسات العلمية البينية ضرورة قصوى بحكم الأبعاد العديدة لكل الظواهر الإنسانية. ومن هنا جاء دور جامعات الجيل الرابع التي تعتمد على العلوم متعددة التخصصات، ومن بينها علوم الدين التي يجب ألا ننظر إليها على أنها جزر منعزلة عن بعضها البعض، ولا على أنها منعزلة عن العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى.

ولن يتحقق الخطاب الديني الجديد بالصورة المأمولة إلا من خلال الدراسات البينية التي يساهم فيها أكثر من اتجاه علمي؛ فالدراسات البينية هي التي تحقق الفهم المتكامل والشامل للظواهر التي تتم دراستها. وفي قضية النسب المرتفعة للطلاق في المجتمع المصري، يجب أن تتضافر علوم عديدة. وفي مسالة توثيق الطلاق بالذات يجب سؤال علوم الاجتماع والقانون والنفس، كما يجب العودة إلى المنابع الصافية: القرآن والسنة المتواترة والعقل النقدي.

وعلى صعيد آخر، فإني أتفق مع وجهة النظر التي ترى وجوب إعادة النظر في كثير من التشريعات القانونية المتعلقة بالطلاق، ومنها انعقاد الطلاق بتوثيقه؛ وهنا نجد على سبيل المثال من الضروري النظر في توظيف النظريات القانونية الحديثة في تطوير أحكام الفقه، مثل توثيق الطلاق على غرار توثيق الزواج طبقًا لنظرية الأشكال القانونية المتوازية كما يقول العديد من أساتذة القانون، لأن انعقاد وإثبات الطلاق عن طريق توثيقه منطقي في ضوء نظرية الأشكال القانونية المتوازية، فما يتم وفق شكل وإجراء لابد أن يتم إنهاؤه بالشكل والإجراء نفسه.

أضف إلى هذا أن الزواج الشرعي نفسه كان شفهيا يعتمد على القبول المتبادل والشهود والإشهار، ولم يكن يتم توثيقه قديما، لكن التطور الاجتماعي والقانوني والتشريعي أدى إلى عملية توثيقه في العصور الحديثة، عندما دعت المصالح المرسلة  وهي جزء من مصادر التشريع- إلى التوثيق القانوني. ولعل هذه المصالح المرسلة نفسها تقتضي بالتوازي توثيق إنهائه. وهذا التحليل قدمه كثير من الفقهاء القانونين من قبل في مقابل باقي الآراء، لكن الأمر في نهايته يحتاج إلى حوار مجتمعي جديد حتى يمكن الوصول الى توافق مجتمعي يعقبه تدخل تشريعي من الحكومة ومجلس الشيوخ ومجلس النواب كل حسب اختصاصه. يدعم هذا الفهم أن من أسباب ارتفاع معدلات الطلاق، أن كثيرا منها يأتي نتيجة غضب عاجل وربما مؤقت، وربما نتيجة نزوة طارئة. وكثيرا ما يحدث الطلاق الشفهي في موقف عابر، لكن إذا كان الطلاق لا يقع إلا أمام الموثق، فإن هذا يأخذ بعض الوقت، الذي غالبا ما تهدأ فيه النفوس، ويعطى فرصة لكي يأخذ فيه التفكير مجراه، كما يعطى فرصة لتدخل الأهل والأبناء والأصدقاء لإعادة الأمور إلى نصابها، ويعود الجميع إلى الاستقرار دون انهيار للأسرة نتيجة قرار مفاجئ. والعقل يقول إن أي أمر يحتاج إلى تفكر وتدبير، فما بالك بأمر يؤثر على مسيرة حياة العديد من الأطراف. إنك تفكر كثيرا عندما تريد أن تغير جزءا من أثاث منزلك، وتفكر طويلا إذا كنت تريد الانتقال من بيتك إلى بيت آخر، أما إذا كنت تريد أن تهدم أسرتك فيمكنك أن تفعل ذلك بكلمة شفهية في موقف طارئ! ومن ناحية أخرى فإن البعض يطلق زوجته شفهيا ويتركها كالمعلقة إضرارا بها وبأبنائها. والبعض يتورط في الطلاق الشفهي ثلاث مرات، مما يدخل الجميع في مأزق المحلل بطرقه غير المشروعة.. الأمر الذي يستدعي تشريعا يعالج هذه الآثار السلبية مستلهما روح الدين ومقاصده التي ترتكز على تحقيق المصالح العامة. ولا شك أن التوثيق كشرط سوف يؤدي إلى وجود طرف ثالث رسمي قد يستطيع إصلاح الأمر، وإذا تعذر الإصلاح فإنه يضمن تطبيق وقوع الطلاق على نحو يحقق مقاصد الدين في حفظ مصالح الناس. وفي حالات حدوث الطلاق عند توثيقه، يجب أن تكون هناك آلية تضمن صيانة وحفظ جميع حقوق مختلف الأطراف، ولا تتعرض المرأة هي وأبناؤها لمظالم لا تحل بسهولة، وأيضا تضمن بالمثل عدم تعرض الرجل لبخس حقوقه. فالمقصود هو حفظ حقوق كل الأطراف وليس المرأة وحدها أو الرجل وحده.

# الطلاق الحرام والمسكوت عنه فى العقل الجمعى (١)

١٣ فبراير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

لعل البعض لا يعرف أن الطلاق ليس حقا للرجل بإطلاق؛ حيث إن الإسلام لا يفتح الباب للانفصال على الإطلاق ولا يغلقه على الإطلاق.. إنما هو فقط يراعى الظروف ويقدر المصالح ويوازن بين المقتضيات؛ فقد يكون الطلاق محرما، وقد يكون واجبا، وقد يكون مباحا، وقد يكون مندوبا إليه...إلخ.

نعم -عزيزى القارئ- هناك حالات يحرم فيها الطلاق، وحالات لا يقع فيها الطلاق على الرغم من النطق به، لكن كثيرا من الناس لا تعلم هذا، مع أنه اتجاه موجود فى الفقه، وسبق أن تناولت هذا الرأى فى كتبى القديمة التى صدرت فى الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضى.. فليس الفقه القديم كله معبرا عن الخطاب الدينى التقليدي؛ فالخطاب الدينى التقليدى الذى سيطر على العقل الجمعى سكت عن كثير من الآراء الفقهية القويمة والمطابقة للقرآن الكريم وما ثبت من السنة النبوية. ومن أسف فإن كثيرا من الأصوات الرافعة لراية الدفاع عن السنة تهمل جانبا منها وتسكت عن جانب آخر لمجرد أن المذهب الفقهى الذى تتبعه لم يلتفت إليها. ومن جانبنا فإن من أهم الضوابط التى نفهم بها الدين هو مدى مطابقة الرأى الفقهى للقرآن الكريم وما تطابق معه من المنسوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام، قولا أو فعلا أو تقريرا، على أساس من تحقيق المصالح العامة والمقاصد العقلانية الكلية للوحى الكريم. لنعود إلى ابن قدامة فى كتابه «المغني»، وننظر فى الآراء التى طرحها، حيث ذكر أن «الطلاق على خمسة أضرب»؛ أى على خمسة أنواع، وسوف نتحدث هنا عن نوع واحد منها، ونتناول بقية الأنواع فى مقال قادم إن شاء الله، وقد ذكر هذا النوع على أنه النوع الثانى وأطلق عليه الطلاق المكروه، لكنه أورد تحته رأيا آخر فى المذهب الحنبلى بأنه طلاق محرم، وأنا شخصيا أميل إلى تحريم هذا النوع من الطلاق طبقا للمعايير والضوابط التى أوردناها أعلاه: «مطابقة الرأى الفقهى للقرآن الكريم وما تطابق معه من المنسوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام قولا أو فعلا أو تقريرا على أساس من تحقيق المصالح العامة والمقاصد العقلانية الكلية للوحى الكريم».

يقول ابن قدامة عن النوع الثانى من الطلاق إنه: «مكروهٌ، وهو الطلاق من غير حاجة إليه. وقال القاضي: فيه روايتان؛ إحداهما: أنه محرمٌ؛ لأنه ضررٌ بنفسه وزوجته، وإعدامٌ للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة إليه، فكان حراما، كإتلاف المال، ولقول النبى - صلى الله عليه وسلم -: «لا ضرر ولا ضرار». والثانية، أنه مباحٌ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»: وفى لفظ: «ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق». رواه أبو داود. وإنما يكون مبغضا من غير حاجة إليه، وقد سماه النبى - صلى الله عليه وسلم - حلالا، ولأنه مزيلٌ للنكاح المشتمل على المصالح المندوب إليها، فيكون مكروها».هنا الحديث عن الطلاق الذى ليس له حاجة، أى الطلاق الذى ليس له سبب كاف أو ليس له ضرورة، وهو يمكن أن يُطلق عليه الطلاق التعسفي؛ فهذا الطلاق يعده البعض طلاقا مباحا لكنه مكروه، واستدلوا عليه بقول منسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»: وفى لفظ: «ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق».. وإنما يكون مبغضا فى رأيهم إذا كانت لا توجد حاجة إليه، ويرون بناء على هذا أن الحديث المنسوب إلى الرسول سماه حلالا.

إذن فدليل القائلين بالكراهية مع الإباحة هو هذا الحديث: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق». ومن المعلوم أن هذا الحديث منتشر فى العقل الجمعى وكثير التداول بين الناس، فهل هو ثابت النسبة بيقين إلى النبى عليه الصلاة والسلام؟

فى الواقع الإجابة هي: لا .. وليس هذا رأى الشخصى ولا اجتهادى، بل هو رأى كثير من أهل العلم والحديث، فقد رجح أبو حاتم إرساله، وكذا الدارقطنى والبيهقى رجحا الإرسال، ويعد الحديث المرسل من أقسام الحديث الضعيف، وقد ضعفه أيضا الألبانى فى «إرواء الغليل» (٢٠٤٠). وجاء فى كتاب «سبل السلام » للصنعاني: «وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم، ورجح أبو حاتم إرساله، وكذا الدارقطنى والبيهقى رجحا الإرسال»، انتهى.

وقد رجح بعض المحدِّثين الإرسال لأنَّ مَن رواه مرسل أوثق وأكثر ممَّن رواه مسندا متصلا، وأكدوا أن من رواه متصل عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم إنما قد أخطأ ووهم. قال الدارقطني: «والمرسل أشبه»، «العلل» (١٣/ ٢٢٥). وقال البيهقي:«هو مرسل، وفى رواية ابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمر موصولا، ولا أراه حفظه»، «السنن الكبرى» (٧/ ٣٢٢). ورجح السخاوى الإرسال فى «المقاصد الحسنة» بتحقيقى الصادر فى بداية الثمانينيات عن دار الكتاب العربي- بيروت. وقال الخطابى وتبعه المنذرى فى «مختصر السنن» (٣/ ٩٢):«والمشهور فيه المرسل». وللحديث شاهد عن معاذ بن جبل، رواه ابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٦٩٤) والدارقطنى فى «السنن» (٤/ ٣٥)، بلفظ: «ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق»، وله أيضا ألفاظ أخرى، وإسناده ضعيف لا يرقى للاستشهاد به. إذن هو حديث ضعيف أو على الأقل مختلف على صحته، وفى تقديرى أن ما هو مختلف على صحته سندا أو متنا لا يمكن أن نقول إنه ثابت النسبة بيقين إلى النبى عليه الصلاة والسلام.

ولا أدرى كيف يمكن منطقيا أن يكون الأمر مبغوضا عند الله تعالى ويكون حلالا فى الأمر نفسه؟!! هذه مسألة تحتاج إلى مراجعات ودراسات متعمقة لأن هذا المفهوم له حضور فى بعض القضايا الفقهية الأخرى وترتبت عليه أحكام غير متوافقة مع تحقيق المصالح العامة التى جاء بها الوحى الكريم. كما أن لهذا المفهوم حضورًا فى الخطاب الدينى التقليدى المسيطر على الوعى الجمعى الذى تشكل فى العصور الأخيرة.

والسؤال الآن: لماذا يعد الطلاق الذى ليس له سبب كاف حراما؟ ولماذا يجب بطلانه وإبطاله لحماية الأسرة؟

الإجابة فى المقال القادم إن شاء الله تعالى.

أستاذ فلسفة الدين رئيس جامعة القاهرة ـ عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

# الطلاق الحرام والمسكوت عنه فى العقل الجمعى (١)

٢٠ فبراير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

طرحنا فى آخر المقال السابق سؤالا تقتضيه ضرورات العصر: لماذا يُعد الطلاق الذى ليس له سبب كاف حراما؟ ولماذا يجب بطلانه وإبطاله لحماية الأسرة والمجتمع؟

هنا يجب أن نتوقف عند ما أورده العلامة ابن قدامة فى كتابه «المغني» فى مسألة إيقاع الطلاق، وأيضا طرحه غيره من بعض الراسخين فى الفقه ويتميزون بسعة الأفق فى كثير من المسائل، وهو ما يؤكد أننا لا نرفض التراث كله بإطلاق، بل فقط ندعو لنتجاوزه بمعنى عدم تقديسه بوصفه عملا بشريا قابلا للصواب والخطأ، وأحكامه وتقديراته متأثرة بظروف عصرها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وعليه يجب إخضاعه للفحص النقدى للتمييز بين المقدس والبشرى، والتمييز بين الثابت والمتغير، على هدى من المنابع الصافية من الوحى الكريم، وما ثبت يقينا من السنة المتوافقة مع القرآن، فى ضوء معايير العقل العلمى وعلى أساس المصالح الكلية التى تتغير بتغير الزمان والمكان.

والمسألة هنا ليست انتقاء ولا إحياء مثل إحياء المقلدين، بل هى فرز وفحص للآراء وتطويرها فى ضوء فقه المقاصد والمصالح الكلية المتغيرة. وليس التوقف عند هذه المسألة من قبيل الترف البحثى، ولا من منطلق الحرص على حقوق المرأة فحسب، وإنما أيضا من منطلق الحرص على الأسرة بمختلف أطرافها من أب وأم وأبناء ومنظومة اجتماعية متداخلة معها أو متفرعة عنها. وكذلك من منطلق أن ارتفاع معدلات الطلاق بات يهدد إحدى اللبنات التى يقوم عليها المجتمع.

فماذا جاء عند ابن قدامة؟

تبين فى المقال السابق أن ابن قدامة يعد النوع الثانى من الطلاق مكروها لكنه مباح، وهو الطلاق من غير حاجة إليه، أى الطلاق بدون سبب كاف، وتبين أن الدليل عليه حديث «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»؛ وفى لفظ: «ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق».. فهذا الحديث عده حلالا لكنه مكروه. وقد أثبتنا أنه حديث مرسل وإسناده ضعيف لا يرقى للاستشهاد به. والحديث المرسل هو ذلك الحديث الذى يسقط من سنده مَنْ هو بين التابعى والرسول. كأن يقول التابعى مباشرة: قال رسول الله كذا ــ دون أن يذكر مَنْ نقل له الحديث من الصحابة عن الرسول. وسمى «مرسلاً» لأنه «أرسل» بمعنى «أطلق»، فيطلق التابعى الإسناد دون أن يقيده براوٍ. وللمرسل درجات وتفريعات وأحكام ليس هنا موضع ذكرها. يمكن الرجوع لكتابنا (مفاتيح علوم الحديث وطرق تخريجه)، الصادر ١٩٨٦م، وتحقيقنا لكتاب (التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير فى أصول الحديث) للنووى، الصادر ١٩٨٥م. ولا يمكن أن نؤسس حكما على ما هو غير ثابت النسبة بيقين إلى النبى «ص». كما أن المتن نفسه عليه استشكال: كيف يمكن منطقيا أن يكون الأمر مبغوضا عند الله تعالى ويكون حلالا فى الوقت نفسه؟!! لكن ابن قدامة بعد ذكره أن هذا النوع مكروه، نسب للقاضى أبى يعلى ابن الفراء أنه قال: «فيه روايتان؛ إحداهما: أنه محرمٌ؛ لأنه ضررٌ بنفسه وزوجته، وإعدامٌ للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة إليه، فكان حراما، كإتلاف المال، ولقول النبى «ص»: «لا ضرر ولا ضرار». والثانية، أنه مباحٌ ...». هنا لابد أن نتأمل الحكم بتحريم الطلاق بغير سبب كاف، فنجد أن الحكم مبنى على أسباب عقلية وأسباب نقلية تعلو فى وزنها على أسباب القول بالإباحة مع الكراهية، ويمكن تحليل جزيئاتها فى النقاط التالية:

الطلاق بدون سبب كاف يترتب عليه ضررٌ بالرجل وضرر بالزوجة.

الطلاق بدون سبب كاف يترتب عليه إعدامٌ للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة إليه.

هذا الطلاق مثل إتلاف المال. يخالف هذا الطلاق قول النبى «ص»: «لا ضرر ولا ضرار». وهذا حديث صحيح السند وصحيح المتن ومتفق مع قواعد الوحى الكريم وصريح العقل، ولا أظن أن هناك عاقلا يخالف هذه القاعدة الكبرى «لا ضرر ولا ضرار»، ولذا هى من القواعد الفقهية الكبرى الكلية؛ حيث يوجد خمس قواعد كبرى كلية هي: قاعدة الأمور بمقاصدها، واليقين لا يزول بالشك، ولا ضرر ولا ضرار، والمشقة تجلب التيسير، والعادة محكمة. وترتبط قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، بقاعدتين أخريين، هما «الضَّرَر يزَال»، و«الضَّرَر لَا يُزال بِمثلِه»، فهى إذن ثلاث قَوَاعد تشير إلى تحريم إيقَاع الضرر، وَلزوم رَفع الضرر بعد إحداثه، وعدم إزالة الضرر بإحداث ضرر مثله. ولا شك أن الطلاق من غير سبب كاف هو ضرر للزوجة والأسرة، وضرر بالمنظومة المحيطة بهم من أفراد وأسر أخرى متشابكة معهم، وهو ضرار بمن لا يضره، وهو أيضا ضرار بنفسه من وجوه عديدة، وهو ضرار بالمجتمع لأن تعرض الأسر للانهيار السريع يعرض ركنا ركينا من أركانه للتصدع والتشقق. وتأسيسا على هذا، فإن الطلاق من غير سبب كاف، هو طلاق حرام، وليس مكروها فحسب. يؤيده بشكل مباشر حديث صحيح السند والمتن عن الرسول «ص»، قال: «إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة، فلما قضى حاجته منها، طلقها، وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلا، فذهب بأجرته، وآخر يقتل دابة عبثا». هذا حديث صحيح رواه الحاكم على شرط البخارى، ولم يخرجاه. وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع. إذن فقد عده الرسول، خاصة إذا اقترن باغتصاب مهرها، من أعظم الذنوب.

والسؤال الذى يطرح نفسه: لماذا لا نسير خطوة إلى الأمام، ونطبق القاعدتين الأخريين، وهما «الضَّرَر يزَال»، و«الضَّرَر لَا يُزال بِمثلِه»، حيث يترتب على تحريم إيقَاع الضرر، لزوم رفع الضرر بعد إحداثه، وعدم إزالة الضرر بإحداث ضرر مثله؟ وتفرض نفسها هنا مجموعة من الأسئلة الأخرى: لماذا لا تتدخل هيئات التشريع بالحكم ببطلانه وإبطاله لحماية الأسرة؟ لماذا لا تتدخل لإزالة الضرر والضرار حماية للمجتمع من ارتفاع معدلات الطلاق فى المجتمع؟ لماذا لا يتم تطوير الرأى الفقهى المغيب والمهمش والمسكوت عنه فى الوعى الجمعى نحو أفق جديد يحل مشكلة اجتماعية طاحنة تعصف بكثير من الأسر نتيجة رعونة أو اتباع هوى أو نزوة؟

أستاذ فلسفة الدين ــ رئيس جامعة القاهرة ـ عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

# أسئلة إلى العبد الصالح! (٤)

٢٧ فبراير ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«كانت ليلة هادئة خلد فيها إلى النوم العميق، واستيقظ مع نداء الطيور المغردة بحمد ربها على نعمة الحياة، ونعمة الاستمتاع بالطبيعة، ونعمة الرزق.. إنها الطيور التي تمثل «لحظة توافق الروح مع نفسها» و» لحظة توافق الذات مع الوجود» كجزء منه وليست كنشاز عليه، تستمتع بالطبيعة من حولها، وتتيقن أنها سوف تجد رزقها بين جنبات مشهد أخضر تغدو إليه ثم تهيم في فضاء أزرق محمل بنسمات الربيع.

مضى يس إلى هدفه قاصدا مجمع البحرين، لم ينظر يسارا ولا يمينا معظم الوقت، لكنه أخطأ عندما التفت بعض الوقت وانحرف إلى زقاق من أزقة الحياة؛ فوجد رجلا في صورة امرأة شمطاء متصابية، تخط بخشبة مكسورة رموزا سحرية على الرمال من أجل إيذاء البشر، فهي لا تجد سعادتها إلا في تعاسة الآخرين وكأنها ترضي غرور فشلها مثل عادة كثير من الفاشلين! وحكمتها الخالدة أن النجاح لا يمكن تحقيقه إلا بالهدم!

دقق يس في ملامحها فوجدها رجلا، لكنها بعد لحظات تعود لتتغير ملامحها إلى امرأة تشبه الساحرة الشريرة في أساطير ديزني، دقق أكثر في قسمات وجهها فلاحظ ملامح ضبع متمرد يكمن وراء الملامح الإنسانية.

وكما تروي الأسطورة فإن الساحرة الشريرة كانت تمتلك مرآة سحرية، وكانت هذه الساحرة كلما سألت تلك المرآة سؤالا تجيبها في الحال، ولم يكن لها إلا سؤال واحد: من أجمل امرأة في الكون؟

وكانت الإجابة دوما: إنك أنت الأجمل!

وهنا يرتفع تكبرها ويزداد ظلام نفسها وتتسع دوائر شرورها. لكن الساحرة الشريرة لم تكن تعلم أن المرآة سوف تجيبها يوما ما بأنها دميمة الروح والهيئة، وأن أجمل نساء الكون هي الأميرة بيضاء الثلج. وهنا كان رد فعلها هو الشر أيضا؛ فهي شريرة بالطبع ويملؤها حقد في حجم الحقد المنتشر في العالم كله. الشر هو ديدنها سواء رضيت عن الإجابة أم سخطت!

سرعان ما شعر يس بالندم على ما ضيعه من وقت في مشاهدة هذه المشاهد الهزلية التي تجيدها الساحرة الشريرة التي يتبعها بعض الغوغاء من العاجزين عن رؤية الواقع، وقرر الرجوع إلى الطريق الكبير الواسع نحو مجمع البحرين. وأخذ يقترب منه رويدا رويدا حتى وصل إليه مع مطلع الشمس. سار قليلا في أرجاء مجمع البحرين الرحبة، ولم يطل به البحث عن العبد الصالح؛ فقد وجده فجأة جالسا تحت شجرة وارفة ظلالها، في جو يحمل رائحة الخلود.

هنا نهض العبد الصالح مخاطبا يس:

– لماذا تأخرت اليوم؟

قال يس: شردت عن طريقي بعض الوقت ربما نتيجة الفضول وربما نتيجة الضعف البشري الذي يأخذ المرء أحيانا إلى مشاهدة الصغائر أو الانخراط فيها.

فرد العبد الصالح: ألم أقل لك من قبل: «سر واقترب»، ألم أقل لك: «إنك لن تجدني عند المنعطفات؟».

قال يس: لقد ندمت قبل أن تلومني؛ فلا ترهقني من أمري عسرا.

قال العبد الصالح: ما سؤالك اليوم؟

قال يس: اليوم أريد أن أسألك عن حقيقة تلك العجوز الشمطاء التي تظهر تارة كامرأة وتارة أخرى كرجل وتارة ثالثة تظهر في صورة ضبع قبيح!

قال العبد الصالح: لابد أن تدرك أن كل شيء له ظاهر وباطن، بل ربما يكون له عدة ظواهر وبواطن.. إن الصور تتعدد للشيء الواحد نفسه، وربما يكون ما نظنه شيئا واحدا هو في الواقع طبقات باطنية متعددة يغطي بعضها بعضا في داخل الكائن الواحد نفسه.. يا بني: إن الظاهر مستويات، والباطن قد يكون طبقات بعضها فوق بعض. إن ظاهر الفئات الاجتماعية المريضة وباطنها يشبه ظاهر البركان وباطنه، إنها طبقات بعضها فوق بعض. إنها مثل البركان الذي يضر كل من يقترب منه، لكن ميزة البركان أنه في بقعة محددة، أما الفئات الاجتماعية المريضة فهي متحركة نحو بقاع متعددة.

وواصل العبد الصالح حديثه إلى يس: يا بُني.. أن هذا التبدل بين صورة الرجل والمرأة والضبع في كائن واحد، إنما هو رسالة آتية من المشهد، إنها رسالة النموذج الإنساني المشترك في القبح، وهي أيضا رسالة التلون والتبدل والخداع! وهي كذلك رسالة المجتمع المريض الذي يظن كثير من أفراده أنهم ملائكة بينما هم مريضون بمرض الحسد العام. وربما هي رسالة تصف كهنة آمون في كل العصور!

سأل يس العبد الصالح: إذن ما مشكلتنا التي تريد أن تنبهنا لها هذا الصباح؟

قال العبد الصالح: إن الساحرة الشريرة في أساطير ديزني، تحمل رموزا ورسائل عديدة ومتشابكة، لكن هذه الساحرة تعاني في كل الأحوال من مرض «الانفصال عن الواقع» مثل المجتمعات والفئات المريضة التي تخادع نفسها ولا تقيّم نفسها بمعايير الواقع، بل تقيّم نفسها بالنظر في المرآة السحرية، وهنا تقع في محظور الصورة المزيفة عن الذات، تلك الصورة المنعكسة من المرآة السحرية التي تخدعها مثلما خدعت الساحرة الشريرة في (سنو وايت والأقزام السبعة).

قال يس: إني أشعر بالتشاؤم من انتشار هذه النماذج في عصرنا.

رد العبد الصالح: إن تجربتي عبر التاريخ تقول إنهم موجودون في كل العصور، لكن تجربتي تقول أيضا إن الخير غالب حتى ولو تأخر بعض الوقت أو معظمه، إن الساحرة الشريرة وأتباعها لا يشكلون في تيار الحياة الدافق والمتسع سوى زقاق مظلم في حي بدائي على مقربة من مقابر مهجورة. لكن الحياة تستمر، والبقاء للأصلح.

يا بُني.. إنهم مثل الفيروس الذي يهاجم الجسم، قد ينتصر بعض الوقت، لكن الحياة في مجموعها تستمر، وسوف يظل الصراع بين الحياة والموت، وبين الخير والشر، وبين التقدم والرجعية، وبين التجديد والتقليد، وبين العقل المفتوح والعقل المغلق.

يا بُني.. دع الساحرة الشريرة تعبث».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (٥)

٦ مارس٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

## د. محمد الخشت

«في ليلة ساهرة، وعندما اقترب وقت السَّحَر الأعلى مع الصبح قبل انصداع الفجر، قرر يس أن يصعد إلى أعلى نقطة في بيته حتى ينظر إلى السماء، فهو يعدها دوما رمزا للانهائية التي ربما يجد فيها معنى الألوهية اللامحدودة التي تعلو فوق كل وسائل الإدراك الحسي والعقلي، وتتجاوز حدود الروح الإنسانية المقيدة بحدود الزمان والمكان.

تلك اللحظات التي يعانق فيها يس الخلود عندما ينظر إلى السماء، سرعان ما تنتهي عندما تسير قدماه على الأرض، ومع لحظة الفلق سار قاصدا مجمع البحرين، وعلى عادته انحرف عند إحدى المنعطفات إلى مجموعة من الغوغاء يعيشون حياة عبثية، ويقضون وقتهم في معارك وهمية خاسرة ضد بعضهم البعض، حياة الغوغاء التي لا ينتصر فيها أحد؛ لأن المنتصر فيها لا يفوز بشيء حقيقي، لا يفوز فيها إلا بما يشبع نوازع الكراهية والتشفي والشماتة، وما هذا بفوز ولا هذا بانتصار، فأية معركة تقع بعيدا عن البناء والإضافة للحياة ليست إلا معركة زائفة يشعلها وقود الضغينة في غرفة مظلمة ذات أربع جدران، وربما غرفة مفتوحة عبر العالم كله على وسائل التواصل في عصور بات فيها اللغط ينتشر عبر العالم في لحظات، حيث تتساق قطعان البشر وراء كل الشائعات والأضاليل وأخبار العبث والعبثية.

تركهم يس وسار في طريقه نحو هدفه، لكنه عاد ليخطئ مرة ثانية عندما انعطف مرة أخرى عن طريقه نحو هدفه، وجره الفضول للانحراف نحو حي بدائي، فدخل أحد أزقته فوجد معركة من معارك الظهور الزائف بين مجموعة من الرجال الفاشلين والنساء الغجريات، حيث يتعارك الجميع بالاقتتال اللفظي في مشهد لا يتورع عن انتهاج كل أساليب الاتهام والسب والقذف والاصطياد، وبينهم رجل أعرج الروح، يلقن فريقا منهم ألفاظ الضغينة وكلمات الحقد، ويروي قصصا مختلقة.

شعر يس برغبة في التقيؤ، وغادر الزقاق مسرعا، فلم تكن لديه القدرة على التحمل، وسار إلى الطريق المفتوح حيث يتعانق شاطئ البحر مع المياه والسموات الزرقاء. سار يس طويلا على أمل لقاء العبد الصالح، وفي الطريق وجد رجلا على وجهه ملامح العمق، ولمح قسمات الإبداع تزين جبينه، فتحدث معه يس بما رأي.

رد المبدع قائلا: لا تعبأ بهم.. إنهم مثل ماكينات طحين خربة بلا قمح، تطحن الفراغ ولا تنتج طحينا! إنهم «جعجعة بلا طحن»، بالمعنى المقصود في مسرحيتي التي جاء اسمها حاملا لتعبير «كثير من اللغط حول لا شيء Much Ado About Nothing «، وهي المسرحية التي يخطط فيها أخو الأمير لتخريب «العرس» لكنه يفشل في ذلك!

شكره يس على قوله الحكيم الذي ذكره بالمثل العربي القديم «أسمع جعجعةً ولا أرى طحناً»! وواصل يس سيره حتى وجد العبد الصالح يسير على الشاطئ معانقا السماء.

مشى يس بجواره وحكى له ذلك الحوار السريع مع ذلك الرجل الذي تزين قسمات الإبداع جبينه.

فقال العبد الصالح: إنه شكسبير.. مرحبا بشكسبير في دوائر الحكماء في كل العصور، ويكفيه أنه رصد تلك الظاهرة المرضية المتكررة في كل عصور غلبة الغوغاء سواء كانوا من العوام أو النبلاء، يكفيه أنه لخص تلك الظاهرة في عنوان دال: «كثير من اللغط حول لا شيء Much Ado About Nothing «.

قال يس للعبد الصالح: كيف عرفت شكسبير؟!

قال العبد الصالح: الخالدون يعرفون بعضهم البعض في عالم أرجو أن تصل إلى حافته يوما ما! وقد يأتي اليوم الذي أشرح لك هذا السر، وربما تصل إليه أنت بنفسك إذا واصلت السير على الطريق.

ثم صمت العبد الصالح لحظات وتوجه نظره إلى نقطة التقاء مياه البحر مع السماء عبر الأفق.. ثم عاد مخاطبا يس: ما سؤالك اليوم؟

قال يس: اليوم أريد أن أسألك عن الكلام والأفعال.

قال العبد الصالح: مشكلتكم المستديمة هي طرق التفكير الخاطئة التي تتبعونها، ومن أبرز عوارها أنكم تعتقدون أن الخلق على الأرض يكون بالكلمة فقط دون العمل، وتظنون -دون أن تدروا- أنكم مثل رب العالمين الذي يخلق بالكلمة، متناسين أو متجاهلين أن لكم قوانين أخرى تحكمكم هي قوانين الطبيعة. إن قوانين الله لكم أن الإبداع أو الإضافة أو التنمية أو التقدم يكون بالأفعال والكلمات الملهمة معا لا بكلمات الإنشاء الفارغة ولا باللغط أو الثرثرة. إبداع الكلمات الملهمة يكون في الآداب والفنون والفلسفة، لكن الإبداع في البناء والتنمية يكون بالعمل والكلمات الملهمة معا. إن عالم الثقافة هو عالم الكلمات المبدعة، لكن عالم المادة هو عالم قوانين الطبيعة التي لا تتحرك إلا بالأعمال وفق معادلات محسوبة. وطبعا لا علاقة لمعارك كلمات الغوغاء بعوالم الكلمات في الآداب والفنون والفلسفة، ولا بعوالم الأعمال في البناء والتنمية. كونوا مثل النحل الذي يأخذ رحيقا من كل زهرة ويعطي تلقيحا وعسلا وشمعا، ولا تكونوا مثل تلك الساحرة الشريرة التي تقتر سوادا ولا ترى في العالم إلا ما يدعو إلى الحقد والنقمة والبطر.

ردد يس: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(فاطر:١٠).

هنا ختم العبد الصالح اللقاء قائلا: إذن قد استوعبت الدرس حينما وصلت إلى (ملتقى الْكَلِم والعمل) في مجمع البحرين، والعز والسيادة لمن يجمع بينهما، أما أهل اللغط فمكرهم يبور!».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (٦)

٢٠ مارس ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«قبل مطلع الفجر، يستيقظ العقل، ويستيقظ الجسد، وتتجلى الروح نحو أفق جديد من الوجود الشائق بأسراره. وفي تلك اللحظات فكر يس في شئون الدنيا في سياق تأملات الخلود، منتزعا الدنيا من سياقها المؤقت وواضعا لها في سياق الدائم. وفي تلك اللحظات يعلو يس على المؤقت والعابر، كما يعلو على العبث واللغط.

وعندما علا آذان الفجر قام للصلاة، حيث التواصل عبر قناة من نوع آخر مع الألوهية التي تتسع لكل شيء دون قيود الزمان والمكان، تلك الألوهية التي لا تستجيب إلا لمن سار واقترب وفق معايير لا يعرفها البشر، لكن من المؤكد أنه ليس من بينها الاستجابة للكلمات الجوفاء والعبث واللغط.

صلى يس الفجر، وخرج قاصدا مجمع البحرين، وعلى عادته التي لم يستطع التخلص منها حتى الآن، فالتخلص من العادات يحتاج جهدا ويحتاج مثابرة ويحتاج وقتا. سار طويلا، باحثا عن شخص آخر غير العبد الصالح، وفجأة وجد أعرابيا يعترض طريقه، وسأل الأعرابي يس قائلا: لماذا أراك تلتفت كثيرا أثناء سيرك؟

رد يس: من الحكمة ألا تسأل عما لا يعنيك!

رد الأعرابي: أردت فقط مساعدتك، وتصورت أنك تبحث عن شيء ما.

قال يس: نعم إني أبحث عن شكسبير، فقد قابلته منذ أيام بالقدر، وحكيت عنه للعبد الصالح، وفوجئت بأنه يقدره تقديرا رفيعا. وأحاول أن ألتقيه مرة ثانية قبل أن ألتقي العبد الصالح هذا الصباح.

قال الأعرابي: وماذا أعجبك من كلامه عندما التقيته في المرة السابقة؟

قال يس: أعجبني عنوان مسرحيته الخالدة: «كثير من اللغط حول لا شيء Much Ado About Nothing «. وقد ذكرني ذلك بالمثل العربي القديم «أسمع جعجعة ولا أرى طحناً»!

قال الأعرابي: وهل تعرف قصة هذا المثل؟

قال يس: لا.. فهل تعرف أنت تلك القصة؟

قال الأعرابي: نعم.. فقد كنت أعيش في ذلك الحي الذي شهد قصة ظهور هذا المثل، وقد صار حكاية تُروى ويتم تناقلها.. حيث كان هناك في الحي رجل أسرف في الانحراف والجبروت، وتضرر أهل الحي من أفعاله، كما تضررت أسرته المكونة من خمسة أبناء، وفي إحدى الأيام ضرب ابنه الأكبر حتى فقد عينه اليمنى تماما، فحزن الأبناء كلهم حزنا شديدا، وقرروا مواجهته للحصول على حقوقهم والتخلص من معاناتهم.

وبعد المداولة بينهم، أعجبهم رأي أختهم الوحيدة، وقرروا أن يكتب كل واحد منهم رأيه عن كل شيء سلبي في حياتهم، ويحددوا طلباته بكل وضوح وقوة وحسم. كما قرروا الامتناع عن الشرب والأكل، وأن يضغطوا على أبيهم بالامتناع عن تنفيذ طلباته حتى يستجيب لهم ويغير من أسلوبه معهم ويعيشوا في سعادة مثل أهل بلدتهم.

وبالفعل كتب كل منهم طلباته كاملة، وملأوا الأوراق دون فراغ فيها، عدا أصغرهم سنا الذي كتب عبارة واحدة فقط. وقام الجميع بتعليق أوراقهم في مكان بارز على جدار البيت في مواجهة بصر أبيهم.

وعندما حضر أبوهم لم يجد ما اعتاد أن يجده من طعام مجهز، ووجد الأبناء واقفين متماسكين ومستعدين للمواجهة. ونظر الأب إلى الحائط فوجد أوراقا معلقة عليه، وبدأ في القراءة قليلا، وأدرك سريعا طبيعة الموقف، وعرف أن الابنة هي من اقترحت عليهم هذا التصرف، فقام بتعليقها وأخذ يضربها، وهي تصرخ صراخا عاليا يصاحب صرخات باقي الأخوة؛ ونتيجة شدة الضرب وقسوته سالت الدماء من قدميها.

وعندما سمع أهل القرية بالصراخ توافدوا لمعرفة السبب وأخذوا يتحدثون حتى علت أصواتهم وأحدثت ضجة، لكن أحدا منهم لم يتدخل لمنع ما يحدث!

وكانت النتيجة عودة كل شيء إلى حاله الذي كان عليه، وظلت أوراقهم معلقة دون جدوى وبلا قيمة، إلا ورقة الابن الأصغر، فإنها رفرفت في الهواء محلقة بعبارتها الوحيدة: « أريد أبا آخر غير هذا الأب»!

وهنا لخص أحد الحكماء الموقف قائلا: «أسمع جعجعةً ولا أرى طِحْنًا».

فرد يس: إذن صار هذا المثل يُضرب لمن يُكثر الكلام دون فعل أو عمل أو تنفيذ. لكن ما علاقة ذلك بالطحين؟

قال الأعرابي: إن الشخص الذي يتحدث دون أن يفعل مثل الرحى التي تعمل بدون أن يكون بداخلها دقيق، فتصدر صوتا وضجة دون أن يصدر عنها أي طحين يمكن الانتفاع به.

قال يس: إذن العبرة بالنتائج الفعلية التي ينتفع بها الناس وليس بمعسول الكلام ولا بالخطط المنمقة ولا بالعروض التقديمية المُوهِمة!

قال الأعرابي: بل هناك في عصركم ما هو أكبر من «الجعجعة بلا طحن»!

قال يس: هل تقصد ما هو أسوأ؟

رد الأعرابي: نعم.

قال يس: ما هو؟

قال الأعرابي: أولئك الذين يتكلمون فقط، لكنهم يُوهمون الآخرين بأنهم يفعلون! إنهم يملكون القدرة على صناعة الصورة الذهنية المزيفة.. تلك القدرة التي تصنع واقعا وهميا لا علاقة له بالواقع الفعلي!

شكر يس الأعرابي النقي على ما قدمه له من معارف وما قدمه من تحليلات معمقة لها، وتركه على أمل الالتقاء به قريبا.

وواصل يس طريقه حتى التقى العبد الصالح عند مجمع البحرين، وقص عليه حكايته مع الأعرابي النقي.. خاصة النقطة التي تحدث فيها عن صناعة الصورة الذهنية المزيفة بواسطة فنون الكلام التي يجيدها البعض سواء إيجابا عن أعمالهم أو سلبا عن أعمال الأخرين.

هنا قال العبد الصالح: يا بني.. إنها القدرة على الكذب، لكنه الكذب المسلح بأدوات العصر! ومن أسف على الرغم من أننا في العصر الحديث لا يزال كثير من الناس لا يفرقون بين القدرة على الكلام والقدرة على الأفعال. وكثير منهم ينساقون وراء الأبواق التي تشوه الأعمال الرائعة التي يقوم بها القادرون على الأفعال. والزمن وحده هو الكفيل بالتمييز بين الصدق والكذب، وبين الصالح والطالح.. (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا).».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (٧)

٣ ابريل ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«عند دخول وقت السحر، وفي اللحظة التي تتفتح فيها طاقة من عالم الأبدية على بيداء الحياة الأرضية، استيقظ يس على صوت هادئ يأتي من جهة الباب على غير العادة. هب مسرعا مترقبا نحو الباب يفتحه وإذ أمامه العبد الصالح، وما إن رآه حتى تخلص من ترقبه وتخلص من لحظات التوجس التي انتابته نتيجة قدوم زائر في غير موعد مألوف.

نظر الى وجه العبد الصالح مستبشرا .. العبد الصالح لا يأتي إلا بخير، ولا يحمل إلا رسائل القدر الجميل لأصحاب القلوب البيضاء، ولا يأتي إلا بأخبار سارة للباحثين عن الحكمة.. فالحكمة هي روح الإله، والحكمة هي طابع أعماله، والباحثون عن الحكمة يسيرون على دروب المقاصد الحسنة.

قال يس: يا لها من مفاجئة سارة .. أهلا بحكيم كل زمان .. أهلا بالعبد الصالح.

رد العبد الصالح: جئت لأعتذر لك عن لقاء اليوم، وخشيت أن تسير كل هذا المسافة الى مجمع البحرين ثم لا تجدني. أنا لا أخلف وعدا ولا موعدا.

يس: لعله خير.

العبد الصالح: أشعر بشوق واشتياق للذهاب إلى مجمع الأرواح.

يس: مجمع الأرواح!

العبد الصالح: نعم .. حيث تلتقي الأرواح القاصدة ربها وتتجمع من كل فج عميق.

يس: أشعر أنا أيضا باشتياق عميق.. إذن سوف آتي معك.

العبد الصالح: سامحني لا أستطيع اصطحابك في هذه الرحلة؛ فمعي صحبة أخرى.

يس: إذن سوف أذهب بمفردي، لعلي ألتقيك هناك.. فقد تفيض هناك معانٍ لا نجدها عند مجمع البحرين.

عدَّ يس عدته، وانطلق إلى مجمع الأرواح، وساعده في ذلك ابن الأصول الكريم، لكنه أثناء سفره كان لا يزال محملا بهموم الحياة، وكان عقله مشدودا بوتر طرفه إلى عالم الأرض، بينما كان طرفه الآخر مشدودا إلى عالم السماء. يس متسق مع ذاته ولا يحمل قلبين، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، إن قلب يس قلب واحد ينازع نفسه بين عالمين، واشتغال يس بعالم الدنيا ينازع تطلعه إلى عالم الروح، لكنها الواجبات الدنيوية التي لا يتخلى عنها أبدا على الرغم من تطلعه إلى ذلك اليوم الذي يتفرغ فيه لعوالم الحكمة.

إن الداخل إلى عوالم الحكمة من أبواب التجربة بعوالم الدنيا، يتمتع بعمق يفوق من يعيش منذ البداية في عالم الحكمة وحده. الأفكار وحدها غير كافية، أما الأفكار المطعمة بالتجارب فهي الحكمة العميقة. إنه فرق بين ثلاثة أنماط:

- النمط الغارق في التجارب وفي هموم الدنيا، لا يستطيع أن يغادر حدود المؤقت والطارئ والعابر، ولذا هو منغمس طوال الوقت في الجري مع الوحوش نحو فرائسها. إنه النمط الغالب على قطعان البشر.

- النمط الغارق في الحكمة والأفكار، يعيش في عالم المثل ولا يستطيع أن يرى عالم الأرض على حقيقته، ولذا دوما تفشل مشاريعه المثالية في معالجة مشكلات الواقع، مثلما فشلت جمهورية أفلاطون التي حلقت بعيدا عن واقع الأرض فلم تستطع تغييره، ولم تستطع أن تجد لها طريقا للتطبيق لا في زمن اليونان ولا في الأزمنة التالية، ومثلما فشلت أيضا مدينة الفارابي الفاضلة ويوتوبيا توماس مور.

- النمط الثالث رجله في عالم الأرض، وروحه في عالم الحكمة، وعقله مفتوح على العالمين. وهذا النوع الأخير هو الذي نجحت مشاريعه كليا أو جزئيا والتي تغير معها مجرى التاريخ وانتقلت البشرية من عصر إلى عصر.

وفي لحظة غفوة بين النوم واليقظة سأل يس نفسه: من المجاهد الحقيقي؟ الذي يعيش في سلام في عالم الحكمة أم الذي يقوم بواجبات الدنيا متحملا أعباءها ومواجها تحدياتها؟ هل الرهبنة الحقيقية هي في الانعزال والوحدة بعيدا عن التحديات؟ أم في خدمة مقاصد الله وتحقيق أسمائه الحسنى بين الناس؟ هنا تذكر يس الراهبات اللاتي كن يعملن بكثرة في المستشفيات لخدمة المرضى كجسر للرحمة بين السماء والأرض، تحقيقا لتجليات الرحمة والكرم والرأفة والفداء...

لم يكن يس قادرا على الوصول إلى صفاء العقل إلا بعد مرور يوم كامل في الجانب الآخر من البحر حيث الاقتراب من مجمع الأرواح. كل الأمور كانت تسير بشكل ميسر ورائع للوصول إلى المقصد، ولم يعيبها شيء، لكن التكنولوجيا كما تيسر لك أشياء تُصعب عليك أشياء أخرى.. وهنا فكر يس هل الحياة البسيطة الساكنة بدون تكنولوجيا أفضل أم الحياة الحديثة الصاخبة التي تربطك بكل شيء في اللحظة نفسك؟ لا شك أن الحياة البسيطة هي الأروع حيث تتحرر الروح من ضغوط التواصل الدائم وتستطيع أن تركن لنفسها وتتواصل مع ربها في الوقت الذي تريده.

إن يس لا يزال على عادته تتنازعه الأفكار، لكنه كلما مر به العمر وتزداد به التجارب، تنضج روحه وتتجه أكثر نحو البسيط والخالد وتتحرر من مطالب الدنيا.

وأثناء رحلته نحو مجمع الأرواح كان يأمل أن يرى العبد الصالح، لكنه لم يره هذه المرة إلا داخله هو، رآه في كل فكرة وفي كل حكمة وفي كل لحظة صفاء، وفي كل إجابة ملهمة على أسئلة الدنيا أو أسئلة الوجود، وفي كل عمل لا يقصد به إلا وجه الله سواء من أعمال الأرض أو أعمال السماء».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (٨)

١٠ ابريل ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«اقترب يس من المدينة الخالدة التي تحكي قصتها نشيد الزمان، وكأنه في رحلة علوية فوق مركب الشمس تحت القبة السماوية الزرقاء المُوَشَّاة ببعض السحب الذهبية. وما إن وصلها حتى توجه مباشرة الى مجمع الأرواح الرحب الفسيح بعد منتصف الليل، آملا أن يكون غير مزدحم، فالازدحام يزعجه ويعيق تواصله مع نفسه ويشوش تواصله مع الخلاق الكريم.

وما إن خطت قدماه داخل مجمع الأرواح حتى شعر بانشراح صدر، وكأن كل الأثقال التي يحملها صدره قد ذابت ذوبان الثلج فوق قمم الجبال فيتحول إلى ماء طاهر خالص من شوائب عصر مضطرب، أو كأن أطياف ملائكية قد تداخلت مع روحه لتخلصه من أحمال علقت بها.

ونظر من بعيد الى الحجر الأسود رمز الطبيعة في ثباتها وجمودها الظاهري، وتذكر ما حكاه عبَّاسِ بنِ ربيعةَ عندما قَالَ: رأيتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ رَضْيَ اللهُ عنه يُقبِّلُ الحجَرَ - يعني الأَسْودَ - ويقول: «إنِّي أعلَم أنَّك حَجَرٌ ما تَنفعُ ولا تَضُرُّ، ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُقبِّلُك ما قَبَّلْتُكَ» متفق عليه.

وقبل أن يصل إلى حرم الطواف، وفي المنطقة الفاصلة بين باب المسجد وحرم الطواف، تفاجأ بجلوس العبد الصالح وبجواره امرأة بيضاء المحيا، بيضاء القلب، لكن لا يبدو من ملامحها أنها بيضاء العقل.. ذات جبين واسع مشرق بلون فضي، ترتدي غطاء سابغا يشع سواده جلالا وبهاء.

أشرق وجه يس بالسعادة عند رؤيته العبد الصالح، لكن بدت عليه بعض مشاعر الاستغراب لرؤيته امرأة معه، فقد كان يظن أن العبد الصالح وحيد، وكأن العلم اللدني لا يأتي لرجل متزوج!

هنا فاجأ العبد الصالح يس: لعلك تسأل نفسك الآن من هذه المرأة؟

يس: فعلا حدث ذلك.

العبد الصالح: إنها زوجتي.. ولعلك قلت لنفسك أيضا: أصحاب العلم اللدني والحكمة الخالدة لا يتزوجون.. ولم تقص الأخبار زواج العبد الصالح!

يس: نعم قلت ذلك في نفسي. دعني أسألك عن .....

العبد الصالح: الزواج شريعة الناس الطبيعيين وشريعة الحكماء.. هو أفضل صيغة ممكنة بين الرجل والمرأة.. وتكوين الأسرة جزء من الكمال الإنساني.. وجزء من اكتمال مفهوم الإنسانية.. إنها الوجود من أجل الذات والوجود من أجل الآخرين. وفي النهاية الزواج أو العزوبة اختيارات في الحياة.

يس: هل تعلم أني على الرغم من عدم حبي لنزعة الافتراس عند الذئاب، فإني أشعر أنه كائن محب للأسرة ويدافع عن زوجته وأطفاله.

العبد الصالح: كثير من الكائنات ليست شياطين، هي كائنات مبرمجة طبقا لغريزتها المخلوقة طبقا لها.

يس: إذن الأسرة رباط مقدس.

العبد الصالح: أكرر جزء من اكتمال مفهوم الإنسانية، بل جزء من اكتمال الحكمة.. وتقاليد الناس الطيبين تروي « الزواج نصف الدين».. هل تتذكر موسى وسقراط ومحمد (ص) ومارتن لوثر؟

صمت قليلا العبد الصالح، بينما كانت زوجته تدعو ربها في لحظة تواصل خاشعة، ثم خاطب العبد الصالح يس:

- لقد سمعتك تهمهم بمقولة الفاروق عندما شاهدت الحجر الأسود.

يس- نعم.. إنها ليست وثنية، فالحجر لا يضر ولا ينفع، وهو ليس مقصودا بعبادة، فالمقصود دوما وأبدا هو الواحد الأحد لا شريك له، الحجر وغيره مناسك وليست آلهة تُعبد.

العبد الصالح: هل تعرف سر ذلك؟

يس: ليس لدي معلومات موثقة يقينية، لكن لدى اجتهادات. وأظن أن كل ما قيل في ذلك اجتهاد، تارة يكون اجتهادا عقليا، وتارات أخرى كثيرة يكون أساطير ينسجها خيال الرواة. وأنا شخصيا لا ألتفت لذلك، حيث يكفيني أداء المناسك بتجرد لا يشوبه شرك.. فالتوحيد الخالص لله رب العالمين أهم أولوية لديَّ في تكوين المعتقد وفي ممارسة تجلياته.

وأضاف يس: هل لديك علم لدني في هذا الأمر؟

العبد الصالح: ليس لدي سوى اجتهاد في الفهم.

يس: هل يمكن أن تحدثني عنه؟

العبد الصالح: سوف أخبرك عن جزء صغير منه، فأنا أشتاق لأداء المناسك.. صديقي يس أقول لك: الإنسان يحتاج إلى مناسك تساعد روحه على التواصل مع المجرد اللامتناهي.. الحسي والروحي لابد أن يتضافرا، فالإنسان ليس روحا فقط، بل حس ومادة أيضا.. الإنسان مجمع الروح والجسد، وملتقى المجرد والحسي.. والتواصل الروحي المجرد ربما يكون غير ممكن في العالم الأرضي، فالإنسان لا يستطيع أن يتخلص من عالم المادة وعالم المحسوس إلا بعد أن يخرج من سجن البدن الأرضي.. وهذا غير ممكن في الحياة الأرضية.. نحن نحتاج دوما إلى وسائل حسية ومادية، والعقل البشري على الرغم من ارتقائه، إلا أنه مقيد بحدود الزمان والمكان، قد يصل إلى حافة المجرد لكنه لا يستطيع أن يفارق عالم الحس والمحسوسات كلية.

يس: إذن الإنسان المادي الروحي معا والمقيد بالعالم الأرضي، لا يمكن أن يتصل بعالم الألوهية المجردة إلا بشكل غير مباشر.

العبد الصالح يردد: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) الشورى: ٥١.

يس: نعم.. إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ.

هنا ظهر صوت من العالم الآخر وكأنه صوت امرأة سقراط تنطق به زوجة العبد الصالح موبخة الجميع: لا أفهم كلامكم ولا أريد.. كفاكم حديث في الحكمة.. هيا بنا نؤدي المناسك.».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (٩)

١٧ ابريل ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«أثناء سيرهم نحو حرم الطواف قال لهم العبد الصالح: الطبيعة طبيعة، والإنسان إنسان، والإله إله. الطبيعة بها قبس إلهي، لكنها ليست إلها، والإنسان به قبس إلهي لكنه ليس إلها ولن يكون، والإله إله.

وبينما هم يتوجهون الى الكعبة، دار في خاطر يس حوار طويل لكنه مر في مخيلته في ثوان معدودة، فمقاييس زمان المخيلة تختلف عن مقاييس الزمان الخارجي.. بدأ يس هذا الحوار في مخيلته قائلا:

«لقد قرأت منذ سنوات كتابا اسمه « تطور الأديان» يفسر سر التحول في العقل الإنساني من الشرك، نحو شبه التوحيد، ثم إلى التوحيد. وكلما كان التوحيد خالصا، أي مستبعدا للوسطاء ورجال الكهنوت والهيئات المعاونة والقوى المضادة والسحر والقوى الخفية.. كان الدين أرقى ومنسجما مع طبيعة النقطة القصوى التي وصل إليها العقل في تطوره».

تخيل يس زوجة العبد الصالح ترد: «لقد سمعت عن هذا الكتاب الذي يحاول أن يبرهن على أن العقل الإنساني يتطور في تصوره للألوهية، وقد بدأ رحلته من تصور طبيعي إلى الألوهية حيث يؤله الإنسان الطبيعة، ثم دخل في تصور إنساني لها حيث يسقط على الإله صفات البشرية أو يعطي بعض البشر صفات إلهية، ثم تجاوزت بعض العقول الإنسانية هذا المستوى إلى تنزيه عقيدة الألوهية والتعالي بها عن الطبيعي والإنساني، وتصورت البشرية في تطورها الأخير (الله تعالى) متعاليا منزها مجردا عن صفات الطبيعة وصفات البشرية».

قال العبد الصالح: أميل دوما إلى التوحيد الخالص، ولا أرى نظرية ذلك الكتاب مستبعدة؛ حسب تلك النظرية فإن «العقل الإنساني قد تطور في معتقده الديني طبقا لمراحل ثلاث كبرى:

١- بدأت الإنسانية في تطورها العقلي بأديان الطبيعة التي تنظر إلى الألوهية على أنها ممتزجة بالطبيعة، وتخلط بين الألوهية وبين الظواهر أو الكائنات الطبيعية، مثل: الديانة الطوطمية، والديانة الإحيائية، والديانة الفيدية، والديانة البراهمانية، والديانة الهندوسية، والديانة البوذية، والديانة اللامية، والجينية والسيخية والمهاريشية، ودين السماء الصيني، وديانة الطاو (العقل أو الطريق)، وديانة الشنتو، والديانة الزرادشتية والمجوسية.

٢- ثم مجموعة الأديان التشبيهية التي تشبه الآلهة أو الإله بالبشر، مثل: الديانة اليونانية، والديانة الرومانية، والديانات المصرية القديمة.

٣- ثم مجموعة أديان التعالي (الديانة اليهودية، والديانة المسيحية، والدين الإسلامي)، وهي ديانات منزهة لله تعالى، لكن يوجد بين اتباعها وطوائفها اختلافات بدرجة ما أو أخرى في مدى تحرر مفهوم الإلهي في الوعي من المفاهيم الطبيعية والتشبيهية.

ففي داخل أديان التعالي يرتقي العقل من (التوحيد غير الخالص) إلى (التوحيد الخالص)، ومن الإله القومي (نسبة إلى قومية معينة) إلى الإله العالمي، ومن التوحيد المعقد الملغز إلى التوحيد الواضح والصرف.

وسواء سرنا بمنطق التحول التدريجي من الكثرة إلى الوحدة، أو بمنطق التحول التدريجي من المحسوس إلى المعقول، فسوف نجد أن تتابع الأديان لن يختل: من ديانات الطبيعة، إلى ديانات التشبيه، ثم أديان التعالي.. مما يؤكد أنها قصة العقل الباحث عن الوحدة، والوحدة لا توجد في المحسوس والعيني والمتناهي، بل توجد في المعقول والمجرد واللانهائي».

-قال يس: إنه أمر يشبه ما يحدث في العلوم الطبيعية حيث يفسر قانون واحد مجرد كثيرا من الظواهر الجزئية المحسوسة.

- زوجة العبد الصالح: هل يخضع العقل البشري الديني لقانون التطور في التاريخ؟

- أجاب العبد الصالح: نعم.. العقل البشري الديني يخضع لقانون التطور الذي يحكم تطور الحضارات البشرية وما تمر به من نمو ثم انحدار واضمحلال.. ثم ربما استعادة للنمو.

- يس: عندما يبلغ الوعي الديني نضجه مع دين الوعي الناصع، يتحول التوحيد إلى عقيدة خالصة بلا شرك ولا تشبيه ولا إسقاط البشري على الإلهي أو الإلهي على البشري.

- العبد الصالح: لكن التطور قد يتوقف وتحدث حالة من التراجع، شيء ما مثل ما يحدث للجسد البشري، يأخذ في النمو والنضج ثم يحدث تراجع نتيجة عوامل الزمن أو نتيجة البيئة المحيطة أو نتيجة الأمراض.

- يس: لعلك تقصد أن الدين الأصلي قد تطرأ تحريفات عليه نتيجة فهم أتباعه بطريقة خطأ لنصوصه ومقاصده؟

العبد الصالح: نعم.. فقد رأينا كثيرا من الطوائف والمذاهب تفهم النصوص بطريقة خاطئة، وأدخلت عناصر أسطورية وشركية وتشبيهية وتجسيمية على تصورات الناس للألوهية، كما فعلت ذلك على مستوى الأحكام الشرعية، وألحقت بالدين الأصلي ما ليس منه.. وتزيد معدلات هذه التفسيرات المحرفة في مراحل الاضمحلال الفكري والاجتماعي والثقافي.

- هنا سألت زوجة العبد الصالح: هل هذا التراجع في فهم أتباع الدين للدين، يستلزم دينا جديدا؟

اندهش الجميع من سؤالها، ودخلوا في لحظة وجوم وصمت انتظارا لإجابة العبد الصالح... «.

# أسئلة إلى العبد الصالح! (١٠)

١ مايو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

## د. محمد الخشت

«ظل الجميع في حالة وجوم متطلعين إلى إجابة العبد الصالح على سؤال زوجته المفاجئ:

-هل هذا التراجع في فهم أتباع الدين للدين، يستلزم دينا جديدا؟

-أجاب العبد الصالح: لسنا بحاجة إلى دين جديد، بل نحن بحاجة إلى عقل جديد.. إن الدين الخاتم يتضمن ثوابت ومتغيرات، ويصلح لكل زمان ومكان.. وباب الاجتهاد في فهمه مفتوح ومتغير ومتطور.

هنا ظهر هاتف من عالم القرن الواحد والعشرين الميلادي، يحمل صوتا يهتف منذ زمن: (الثوابت من حيث المصادر هي القران والسنة المتواترة. وهناك ثوابت من حيث الموضوعات، مثل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. وأيضا أركان الإسلام الخمسة. أما المتغيرات فمثل الأحكام المستنبطة من النصوص متعددة المعاني، وتصل مساحة تلك المتغيرات في الدين في أقل تقدير إلى ٧٥ ٪ ؛ ويصل بها البعض إلى ٩٥ ٪؛ لأنها تشمل كل الآيات والأحاديث المشتملة على ألفاظ أو عبارات متعددة المعنى حسب قواعد اللغة العربية ودلالات معاجمها، وهي غير قاطعة في دلالتها على معنى واحد من القرآن الكريم والسنة المتواترة. وهذا أحد أسباب اختلاف الفقهاء والمفسرين في تحديد معانيها ومقاصدها؛ مما يعني أنها أبوابا مفتوحة للتجديد في الفهم...

علق العبد الصالح قائلا: هذه أبواب للرحمة فتحها الوحي الكريم.. بينما يريد المتحدثون باسم الله إغلاقها. ثم عاد العبد الصالح ليكمل إجابته:

بعد الدين الخاتم ليس الإنسان بحاجة إلى دين جديد؛ لأن الدين النقي موجود في منابعه الأصلية: القرآن الكريم والسنة النبوية المتواترة الثابتة بيقين -وليس بظنية الثبوت- عن النبي عليه الصلاة والسلام.

-هنا تساءل يس: إذن أين المشكلة؟

- قال العبد الصالح: تكمن المشكلة في أمور كثيرة، لا يتسع المجال لذكرها كلها، وسوف أكتفي ببعض منها، مثل:

١) عدم التمييز بين الإلهي والبشري في أمور الدين، مثل عدم التمييز بين ما قاله الكتاب الكريم وأقوال الفقهاء والمفسرين.

٢) عدم التمييز بين الثابت والمتحول.

٣) عدم التمييز بين السنة المتواترة والآحاد تمييزا فعليا عند استنباط الأحكام.

٤) الفهم القاصر والخاطئ من أتباع الدين للنصوص المقدسة.

٥) عدم سلامة طرق التفكير.

٦) ضعف طرق الاستنباط والاستدلال.

٧) اضمحلال الوعي بالسياق، وعدم تفسير الكتاب بالكتاب.

٨) عدم التفكير في ضوء المتغيرات والمستجدات الاجتماعية والثقافية والعلمية، وعدم مراعاة المصالح المرسلة مراعاة حقيقية، والإصرار على التفكير وفق نظم اجتماعية وثقافية وتقاليد قبلية موروثة.. ربما تصلح لعصورها.. لكنها لا تصلح لعصورنا.

٩) علاوة على تدخل أصحاب المصالح في فهم الدين لتحقيق مصالحهم الذاتية وليس لتحقيق المصالح العامة. وهذا ما يستغله بعض الكهنة لاحتكار سلطة التفسير واستنباط الأحكام.

- زوجة العبد الصالح: من هنا يكون الإنسان بحاجة إلى فهم جديد للدين يخلص أتباعه من العناصر الأسطورية والشركية والرجعية، أي بحاجة إلى تأسيس فهم ديني جديد للمنابع الأصلية في حدود العقل النقدي المنضبط والكتاب والسنة المتواترة، وتحقيقا للمقاصد الكلية للدين في عمران الأرض والارتقاء بالحياة الإنسانية.

التفت يس إلى زوجة العبد الصالح متسائلا:

- لقد استغربت منكِ هذا السؤال.. ألديك شكوك في الدين الخاتم؟

-أجابت بثبات: طبعا لا .. لكن الوحي الكريم أمرنا أن نعمل عقولنا، وأنا أنفذ فرائض الوحي ليس في الطقوس فقط، ولكن أيضا أنفذ أوامره بالتعقل والتدبر، بل وأتصورها فريضة/ فرائض مستدامة..

ثم تابعت بلهجة صارمة موجهة حديثها إلى يس: عليك أن تتذكر أننا على وشك الطواف، وعليك أن تتذكر سورة الحج، وماذا قال الوحي الكريم فيها: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج: ٤٦]. إنني لا أريد أن أكون مثل الأنعام (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف: ١٧٩].

رد يس: أتفق معكِ.. الله أمرنا نحن، أمرنا فردا فردا بالتدبر والتعقل، ولم يطلب منا أن ننقاد مثل البعير، ولم يطلب منا أن نساق وراء الآخرين.

هنا قفز إلى مخيلة يس مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه عندما رفض الانصياع لكهنتهم الذين يريدون أن يحتكروا الحقائق الإلهية، ووبخهم قائلا: (أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنبياء: ٦٧، ٦٨]..

ردت زوجة العبد الصالح: لا تنسى أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام، ولم يعد بيننا مَن يعبد الأصنام!

- رد يس متقمصا طريقة العبد الصالح: سوف أجيبك مع مطلع فجر جديد إن شاء العلام العليم.. نسأل الرحمن الفرج.

«لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك.. لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (١١)

٨ مايو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«سبحت مخيلة يس في سموات التوحيد الخالص لله رب العالمين، ولم تغب تلك المخيلة طويلا، حتى عادت على شاطئ العقل الموحد، مجيبا على إشكالية زوجة العبد الصالح قائلا :

قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام المصنوعة من الحجر، أما نحن فيوجد بيننا من يعبدون أصناما من نوع آخر .. أصناما مصنوعة من أوهام المخيلة المريضة وضلالات العقل الرجعي المتشبس بتراث بشري عتيق!

إن بيننا من يصنع أصناما من البشر ، يقدس كلامها إن قالت ويقدس كلامها إن تراجعت عما قالت! يقدس مذاهب احتكرت حق تفسير الوحي الكريم وفرقت وحدة المسلمين تحت شعارات الفرقة الناجية الوحيدة؛ نتيجة فهم خاطيء لحديث منسوب الى النبي عليه الصلاة والسلام ، يوجد خلاف على صحته بين علماء الحديث، وإن صح فهو مجرد حديث آحاد ظني الثبوت... والغريب انهم يستندون الى حديث ظني الثبوت في امر من أمور العقيدة. والغريب أيضا انهم يزعمون أنهم لا يأخذون في العقائد إلا بما هو متواتر.. لكن اغلب عقائدهم تستند الى أحاديث آحاد غير متواترة .. انها تناقضات ومفارقات العقل الرجعي!

– زوجة العبد الصالح: ما هذا الذي تقوله؟ لا يزال كلامك غريبا مستغربا! هل يمكن أن توضح كلامك أكثر؟ هل يمكن أن تضرب أمثلة؟

يس: هناك بيننا من يقدسون بعض الاشخاص لانهم يؤمنون بأنهم متحدثون باسم الله، ويعتقدون انهم لا ينطقون عن الهوى، ويجزمون أنهم معبرون عن الحقيقة الإلهية!

وهناك بيننا من يعبدون  دون أن يدروا- الأولياء من الأموات والأحياء.. نعم إنهم لا يسجدون لهم.. لكنهم يقدسونهم ويقعون في شبهة الشرك، دون أن يدركوا ذلك، عندما يتوسلون بهم ، مع أن الله قريب يمكن التواصل معه من أي مكان دون وسيط.. (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) البقرة: ١١٥.

–زوجة العبد الصالح: هل معنى هذا انك لا تجل الأولياء ؟

 يس: أحبهم وأحترمهم.. وأشعر بالراحة النفسية بجوارهم، وقد ورثت محبتهم عن أمي، وعن تجربة روحية مع بعضهم ممن كانوا على قيد الحياة منهم أثناء طفولتي . أحب مثلا السيد جعفر الصادق والسيدة زينب والسيد الحسين والشيخ صالح الجعفري، وأذكر أنني حضرت مجالس الشيخ الجعفري، لكنني رفضت تقبيل يده واستعضت عنها بتقبيل وجهه البهي نورا، أما هو رحمه الله فقد ابتسم لطفولتي البريئة الرافضة لتقديس بشر، ورد على هذا الرفض بتقبيل يدي الصغيرة بفمه الطاهر.. فنزلت محبته في قلبي إلى يوم الدين.. هذا هو الولي الصالح .. أما المتكبرون المتغطرسون المتفاخرون فليسوا بأولياء ولا أصحاب فضيلة. إنني لا أحب الكهنة، لكنني أحب الأولياء، وأحب كبيرهم ( العبد الصالح)، لكني لا اقدسهم ولا أتوسل بهم.. انهم صالحون، وأتعلم منهم نوعا مختلفا من العلم اللدني، لكنهم لا يملكون لأحد نفعا ولا ضرا.. ولا حتى يملكون ذلك لأنفسهم.. فمنهم من مات شهيدا.. ومنهم من مات مريضًا.. ومنهم من مات فقيرا.. فكيف يملكون حفظ الحياة والشفاء والغنى لغيرهم؟!

– زوجة العبد الصالح مخاطبة يس: لكنك تقول أيضا أن هناك من يعبدون الأحياء! من أين لك أن تقول هذا؟ إنه رأي غريب ومستغرب!

– يس: نعم أنا أعني هذا الكلام بدقة.. انظري حولك سوف تجدين البعض يقدسون الذين يزعمون أنهم يتحدثون باسم الله مع أنهم ليسوا أنبياء ولا رسلا من لدن الله، و هم ينتحلون دور وخصائص الأنبياء والرسل المصطفين الذين اختتمهم محمد النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام.. إنهم يظنون أنهم قبضوا قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ! لا فرق بينهم والسامري إلا في موضوع العبادة الشركية... السامري يقدس العجل.. بينما هم يقدسون مذاهب وأفكار وكتب بعض البشر الفانين!

زوجة العبد الصالح: أتفق معك .. هم يزعمون أنهم يملكون الحقائق المطلقة... بينما الحقائق المطلقة لا يملكها إلا الله تعالى.. من يزعم أنه يمتلك الحقائق المطلقة كأنه يزعم امتلاك قدرة إلهية حصرية.. العلم الكلي الشامل.. وهذا شرك – أو شبهة شرك– بصرف النظر عن حسن النوايا أو سوئها.. فلا يملك العلم الكلي الشامل سوى ربنا العلام العليم، (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) طه: ٩٨.. (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) الأعراف: ٨٩.. (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) الأنعام: ٨٠

– ثم التفتت زوجة العبد الصالح مخاطبة زوجها: أراك صامتا.. ماذا ألم بك؟

العبد الصالح: طريقتك في الخطاب لا تعجبني..

يبدو أني لن أستطيع معكِ صبرا!

ردت زوجته قائلة: بل تستطيع! لا زلت أنتظر إجابتك!».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (١٢)

١٥ مايو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«تردد في مخيلة يس، أثناء سيرهم، ما أفصح به العبد الصالح لزوجته، من أنه لن يستطيع معها صبرا، فلا يعجبه بأي حال عودة امرأة سقراط بين الحين والآخر لتنطق بلسانها.

لكن قوة زوجة العبد الصالح تأتي من علمها أن سقراط والعبد الصالح يشتركان في قواسم كثيرة من الحكمة، وأنه لن يتخلى عنها مثلما لم يتخل سقراط عن زوجته.. وهي تعلم أن العبد الصالح وسقراط لا يحكمان على الأشخاص نتيجة مواقف جزئية، ولكل إنسان مميزاته وعيوبه، وللأسف التاريخ تحدث فقط عن عيوب زوجة سقراط ولم يتحدث عن مميزاتها.. إن رواة التاريخ كثيرا ما يظلمون!! ولا يختلف كثيرا معظم رواة التاريخ القدماء عن أبواق وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا!

وبعد أن شردت أفكار العبد الصالح بعض الوقت في أمور دنيوية، عاد ليجيب ويفصح عن موقفه من التوسل، فقال:

التوسل لون من ألوان الشرك.. فعلاقتنا مع الله مباشرة ودون واسطة، سواء كان الأمر في العبادة أو في تدبر القرآن الكريم؛ فالله ليس بحاجة إلى (واسطة) سواء بالمعنى الديني أو بالمعنى الذي يستخدمه البعض في معاملاتهم الدنيوية عندما يريدون الحصول على بعض المكتسبات  سواء عن استحقاق أو عدم استحقاق- فيوسطون الأقارب أو أصحاب الشأن والنفوذ. إن الله تعالى ليس كمثله شيء، وليس من الصواب أن نسقط عليه -سبحانه- بعض صفاتنا وطرائقنا في التصرف!

هنا ظهر في مخيلة يس رجل يسعى إليهم معترضا على كلامهم، قائلا:

كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) المائدة: ٣٥.

رد العبد الصالح: لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، وأن تفسر الأقوال في ضوء سياقها.. يا بُني، إن المقصود بالوسيلة هو العمل الصالح، والعمل الصالح عبارة عن ترك الشر وفعل الخير، والعمل الصالح هو الطريق، وهو المنهج، وهو الوسيلة، والعمل الصالح هو الجهاد الحقيقي في سبيل الله، ومنه الجهاد الأصغر ومنه الجهاد الأكبر ومنه أنواع أخرى، وأنواع العمل الصالح الكثيرة والمتنوعة هي السبل الموصلة إلى الله، سواء كانت إحسان أعمال الدنيا أو إحسان أعمال الآخرة، وسواء كانت إتقان أعمال الوظيفة والمهنة أو إتقان أعمال العبادة.. يا بُني هذا هو معنى الوحي الكريم في قوله: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

إن الله مع أهل الأعمال الصالحة، والله مع المحسنين في أعمالهم، ولا يقبل (وساطات) مثلما نقبل!

يا بُني إنك قلت من قبل: «كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)؟».

وهنا أقول لك لابد أن ترجع إلى السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، فلا يمكن أن تفهم مقصود أي قول دون أن ترجع إلى سياقه.. ماذا جاء قبله.. وماذا جاء بعده.. والسياق كله إذا رجعت له يتحدث عن قوم يفعلون الشرور ويبتعدون عَنِ الأعمال الصالحة الَّتِي هي طرق ووَسَائِل الوصول إلى الله، ويطالبنا الله أن نبتغي إليه الوسيلة بأن نسير في طريق غير طريقهم، وهو طريق التوسل إلى الله بفعل الخير وترك الشر.

وهؤلاء القوم أنفسهم كانوا يزعمون، في سياق سورة المائدة نفسها، القرب من الله تعالى لأنهم أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، إنهم مثل بعضنا الآن يفتخرون بمنجزات آبائهم، لا بأعمالهم هم نفسها.. كأن معهم صكوك إلهية. هنا طلب منا الوحي الكريم أن نبتغي إليه الوسيلة بأعمالنا نحن وليس بأعمال آبائنا أو أجدادنا! فلا يملك أحد صكا إلهيا.

يا بُني.. قلت لك لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، مثل قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) الإسراء: ٥٦، ٥٧.

إن القدماء الذين يدعون معبودين غير الله، أو غيرهم ممن يتوسلون بأشخاص في دعائهم، أو يطلبون من الأولياء تحقيق أمانيهم.. لابد أن يعرفوا أن هؤلاء المعبودين أو المتوسل بهم أو الأولياء هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة.. لأنهم لا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْ أحد وَلَا تَحْوِيلًا، وهم يرجون رحمة الله ويخشون عذابه، والوسيلة ليست تلك التي تُسقطونها على الآية من معتقداتكم التي ورثتموها، بل الوسيلة حددتها الآية الكريمة نفسها، لكنكم لا تنظرون على الرغم من أنكم تقرأون، بل وتحفظون، وإن نظرتم فلا تلفتون إلى الألفاظ الصريحة الكاشفة في الكتاب المبين!

وصمت العبد الصالح قليلا..

وهنا بادره الغريب المعترض: إذن أخبرنا ما تلك الوسيلة التي حددتها الآية؟ وما الألفاظ الصريحة الكاشفة عنها في الكتاب المبين؟».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (١٣)

٢٢ مايو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«تردد في مخيلة يس، أثناء سيرهم، ما أفصح به العبد الصالح لزوجته، من أنه لن يستطيع معها صبرا، فلا يعجبه بأي حال عودة امرأة سقراط بين الحين والآخر لتنطق بلسانها.

لكن قوة زوجة العبد الصالح تأتي من علمها أن سقراط والعبد الصالح يشتركان في قواسم كثيرة من الحكمة، وأنه لن يتخلى عنها مثلما لم يتخل سقراط عن زوجته.. وهي تعلم أن العبد الصالح وسقراط لا يحكمان على الأشخاص نتيجة مواقف جزئية، ولكل إنسان مميزاته وعيوبه، وللأسف التاريخ تحدث فقط عن عيوب زوجة سقراط ولم يتحدث عن مميزاتها.. إن رواة التاريخ كثيرا ما يظلمون!! ولا يختلف كثيرا معظم رواة التاريخ القدماء عن أبواق وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا!

وبعد أن شردت أفكار العبد الصالح بعض الوقت في أمور دنيوية، عاد ليجيب ويفصح عن موقفه من التوسل، فقال:

التوسل لون من ألوان الشرك.. فعلاقتنا مع الله مباشرة ودون واسطة، سواء كان الأمر في العبادة أو في تدبر القرآن الكريم؛ فالله ليس بحاجة إلى (واسطة) سواء بالمعنى الديني أو بالمعنى الذي يستخدمه البعض في معاملاتهم الدنيوية عندما يريدون الحصول على بعض المكتسبات  سواء عن استحقاق أو عدم استحقاق- فيوسطون الأقارب أو أصحاب الشأن والنفوذ. إن الله تعالى ليس كمثله شيء، وليس من الصواب أن نسقط عليه -سبحانه- بعض صفاتنا وطرائقنا في التصرف!

هنا ظهر في مخيلة يس رجل يسعى إليهم معترضا على كلامهم، قائلا:

كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٣٥].

رد العبد الصالح: لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، وأن تفسر الأقوال في ضوء سياقها.. يا بُني، إن المقصود بالوسيلة هو العمل الصالح، والعمل الصالح عبارة عن ترك الشر وفعل الخير، والعمل الصالح هو الطريق، وهو المنهج، وهو الوسيلة، والعمل الصالح هو الجهاد الحقيقي في سبيل الله، ومنه الجهاد الأصغر ومنه الجهاد الأكبر ومنه أنواع أخرى، وأنواع العمل الصالح الكثيرة والمتنوعة هي السبل الموصلة إلى الله، سواء كانت إحسان أعمال الدنيا أو إحسان أعمال الآخرة، وسواء كانت إتقان أعمال الوظيفة والمهنة أو إتقان أعمال العبادة.. يا بُني هذا هو معنى الوحي الكريم في قوله: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

إن الله مع أهل الأعمال الصالحة، والله مع المحسنين في أعمالهم، ولا يقبل (وساطات) مثلما نقبل!

يا بُني إنك قلت من قبل: «كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)؟».

وهنا أقول لك لابد أن ترجع إلى السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، فلا يمكن أن تفهم مقصود أي قول دون أن ترجع إلى سياقه.. ماذا جاء قبله.. وماذا جاء بعده.. والسياق كله إذا رجعت له يتحدث عن قوم يفعلون الشرور ويبتعدون عَنِ الأعمال الصالحة الَّتِي هي طرق ووَسَائِل الوصول إلى الله، ويطالبنا الله أن نبتغي إليه الوسيلة بأن نسير في طريق غير طريقهم، وهو طريق التوسل إلى الله بفعل الخير وترك الشر.

وهؤلاء القوم أنفسهم كانوا يزعمون، في سياق سورة المائدة نفسها، القرب من الله تعالى لأنهم أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، إنهم مثل بعضنا الآن يفتخرون بمنجزات آبائهم، لا بأعمالهم هم نفسها.. كأن معهم صكوك إلهية. هنا طلب منا الوحي الكريم أن نبتغي إليه الوسيلة بأعمالنا نحن وليس بأعمال آبائنا أو أجدادنا! فلا يملك أحد صكا إلهيا.

يا بُني.. قلت لك لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، مثل قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

إن القدماء الذين يدعون معبودين غير الله، أو غيرهم ممن يتوسلون بأشخاص في دعائهم، أو يطلبون من الأولياء تحقيق أمانيهم.. لابد أن يعرفوا أن هؤلاء المعبودين أو المتوسل بهم أو الأولياء هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة.. لأنهم لا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْ أحد وَلَا تَحْوِيلًا، وهم يرجون رحمة الله ويخشون عذابه، والوسيلة ليست تلك التي تُسقطونها على الآية من معتقداتكم التي ورثتموها، بل الوسيلة حددتها الآية الكريمة نفسها، لكنكم لا تنظرون على الرغم من أنكم تقرأون، بل وتحفظون، وإن نظرتم فلا تلفتون إلى الألفاظ الصريحة الكاشفة في الكتاب المبين!

وصمت العبد الصالح قليلا..

وهنا بادره الغريب المعترض: إذن أخبرنا ما تلك الوسيلة التي حددتها الآية؟ وما الألفاظ الصريحة الكاشفة عنها في الكتاب المبين؟».

# أسئلة إلى العبد الصالح! (١٤)

٢٩ مايو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«تردد في مخيلة يس، أثناء سيرهم، ما أفصح به العبد الصالح لزوجته، من أنه لن يستطيع معها صبرا، فلا يعجبه بأي حال عودة امرأة سقراط بين الحين والآخر لتنطق بلسانها.

لكن قوة زوجة العبد الصالح تأتي من علمها أن سقراط والعبد الصالح يشتركان في قواسم كثيرة من الحكمة، وأنه لن يتخلى عنها مثلما لم يتخل سقراط عن زوجته.. وهي تعلم أن العبد الصالح وسقراط لا يحكمان على الأشخاص نتيجة مواقف جزئية، ولكل إنسان مميزاته وعيوبه، وللأسف التاريخ تحدث فقط عن عيوب زوجة سقراط ولم يتحدث عن مميزاتها.. إن رواة التاريخ كثيرا ما يظلمون!! ولا يختلف كثيرا معظم رواة التاريخ القدماء عن أبواق وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا!

وبعد أن شردت أفكار العبد الصالح بعض الوقت في أمور دنيوية، عاد ليجيب ويفصح عن موقفه من التوسل، فقال:

التوسل لون من ألوان الشرك.. فعلاقتنا مع الله مباشرة ودون واسطة، سواء كان الأمر في العبادة أو في تدبر القرآن الكريم؛ فالله ليس بحاجة إلى (واسطة) سواء بالمعنى الديني أو بالمعنى الذي يستخدمه البعض في معاملاتهم الدنيوية عندما يريدون الحصول على بعض المكتسبات  سواء عن استحقاق أو عدم استحقاق- فيوسطون الأقارب أو أصحاب الشأن والنفوذ. إن الله تعالى ليس كمثله شيء، وليس من الصواب أن نسقط عليه -سبحانه- بعض صفاتنا وطرائقنا في التصرف!

هنا ظهر في مخيلة يس رجل يسعى إليهم معترضا على كلامهم، قائلا:

كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٣٥].

رد العبد الصالح: لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، وأن تفسر الأقوال في ضوء سياقها.. يا بُني، إن المقصود بالوسيلة هو العمل الصالح، والعمل الصالح عبارة عن ترك الشر وفعل الخير، والعمل الصالح هو الطريق، وهو المنهج، وهو الوسيلة، والعمل الصالح هو الجهاد الحقيقي في سبيل الله، ومنه الجهاد الأصغر ومنه الجهاد الأكبر ومنه أنواع أخرى، وأنواع العمل الصالح الكثيرة والمتنوعة هي السبل الموصلة إلى الله، سواء كانت إحسان أعمال الدنيا أو إحسان أعمال الآخرة، وسواء كانت إتقان أعمال الوظيفة والمهنة أو إتقان أعمال العبادة.. يا بُني هذا هو معنى الوحي الكريم في قوله: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

إن الله مع أهل الأعمال الصالحة، والله مع المحسنين في أعمالهم، ولا يقبل (وساطات) مثلما نقبل!

يا بُني إنك قلت من قبل: «كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)؟».

وهنا أقول لك لابد أن ترجع إلى السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، فلا يمكن أن تفهم مقصود أي قول دون أن ترجع إلى سياقه.. ماذا جاء قبله.. وماذا جاء بعده.. والسياق كله إذا رجعت له يتحدث عن قوم يفعلون الشرور ويبتعدون عَنِ الأعمال الصالحة الَّتِي هي طرق ووَسَائِل الوصول إلى الله، ويطالبنا الله أن نبتغي إليه الوسيلة بأن نسير في طريق غير طريقهم، وهو طريق التوسل إلى الله بفعل الخير وترك الشر.

وهؤلاء القوم أنفسهم كانوا يزعمون، في سياق سورة المائدة نفسها، القرب من الله تعالى لأنهم أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، إنهم مثل بعضنا الآن يفتخرون بمنجزات آبائهم، لا بأعمالهم هم نفسها.. كأن معهم صكوك إلهية. هنا طلب منا الوحي الكريم أن نبتغي إليه الوسيلة بأعمالنا نحن وليس بأعمال آبائنا أو أجدادنا! فلا يملك أحد صكا إلهيا.

يا بُني.. قلت لك لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، مثل قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

إن القدماء الذين يدعون معبودين غير الله، أو غيرهم ممن يتوسلون بأشخاص في دعائهم، أو يطلبون من الأولياء تحقيق أمانيهم.. لابد أن يعرفوا أن هؤلاء المعبودين أو المتوسل بهم أو الأولياء هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة.. لأنهم لا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْ أحد وَلَا تَحْوِيلًا، وهم يرجون رحمة الله ويخشون عذابه، والوسيلة ليست تلك التي تُسقطونها على الآية من معتقداتكم التي ورثتموها، بل الوسيلة حددتها الآية الكريمة نفسها، لكنكم لا تنظرون على الرغم من أنكم تقرأون، بل وتحفظون، وإن نظرتم فلا تلفتون إلى الألفاظ الصريحة الكاشفة في الكتاب المبين!

وصمت العبد الصالح قليلا..

وهنا بادره الغريب المعترض: إذن أخبرنا ما تلك الوسيلة التي حددتها الآية؟ وما الألفاظ الصريحة الكاشفة عنها في الكتاب المبين؟».

# من الخطاب الديني إلى الاقتصاد الجديد

٥ يونيو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

## د. محمد الخشت

«تردد في مخيلة يس، أثناء سيرهم، ما أفصح به العبد الصالح لزوجته، من أنه لن يستطيع معها صبرا، فلا يعجبه بأي حال عودة امرأة سقراط بين الحين والآخر لتنطق بلسانها.

لكن قوة زوجة العبد الصالح تأتي من علمها أن سقراط والعبد الصالح يشتركان في قواسم كثيرة من الحكمة، وأنه لن يتخلى عنها مثلما لم يتخل سقراط عن زوجته.. وهي تعلم أن العبد الصالح وسقراط لا يحكمان على الأشخاص نتيجة مواقف جزئية، ولكل إنسان مميزاته وعيوبه، وللأسف التاريخ تحدث فقط عن عيوب زوجة سقراط ولم يتحدث عن مميزاتها.. إن رواة التاريخ كثيرا ما يظلمون!! ولا يختلف كثيرا معظم رواة التاريخ القدماء عن أبواق وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا!

وبعد أن شردت أفكار العبد الصالح بعض الوقت في أمور دنيوية، عاد ليجيب ويفصح عن موقفه من التوسل، فقال:

التوسل لون من ألوان الشرك.. فعلاقتنا مع الله مباشرة ودون واسطة، سواء كان الأمر في العبادة أو في تدبر القرآن الكريم؛ فالله ليس بحاجة إلى (واسطة) سواء بالمعنى الديني أو بالمعنى الذي يستخدمه البعض في معاملاتهم الدنيوية عندما يريدون الحصول على بعض المكتسبات  سواء عن استحقاق أو عدم استحقاق- فيوسطون الأقارب أو أصحاب الشأن والنفوذ. إن الله تعالى ليس كمثله شيء، وليس من الصواب أن نسقط عليه -سبحانه- بعض صفاتنا وطرائقنا في التصرف!

هنا ظهر في مخيلة يس رجل يسعى إليهم معترضا على كلامهم، قائلا:

كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) المائدة: ٣٥.

رد العبد الصالح: لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، وأن تفسر الأقوال في ضوء سياقها.. يا بُني، إن المقصود بالوسيلة هو العمل الصالح، والعمل الصالح عبارة عن ترك الشر وفعل الخير، والعمل الصالح هو الطريق، وهو المنهج، وهو الوسيلة، والعمل الصالح هو الجهاد الحقيقي في سبيل الله، ومنه الجهاد الأصغر ومنه الجهاد الأكبر ومنه أنواع أخرى، وأنواع العمل الصالح الكثيرة والمتنوعة هي السبل الموصلة إلى الله، سواء كانت إحسان أعمال الدنيا أو إحسان أعمال الآخرة، وسواء كانت إتقان أعمال الوظيفة والمهنة أو إتقان أعمال العبادة.. يا بُني هذا هو معنى الوحي الكريم في قوله: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

إن الله مع أهل الأعمال الصالحة، والله مع المحسنين في أعمالهم، ولا يقبل (وساطات) مثلما نقبل!

يا بُني إنك قلت من قبل: «كيف تنكرون التوسل وقد قال الوحي الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)؟».

وهنا أقول لك لابد أن ترجع إلى السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، فلا يمكن أن تفهم مقصود أي قول دون أن ترجع إلى سياقه.. ماذا جاء قبله.. وماذا جاء بعده.. والسياق كله إذا رجعت له يتحدث عن قوم يفعلون الشرور ويبتعدون عَنِ الأعمال الصالحة الَّتِي هي طرق ووَسَائِل الوصول إلى الله، ويطالبنا الله أن نبتغي إليه الوسيلة بأن نسير في طريق غير طريقهم، وهو طريق التوسل إلى الله بفعل الخير وترك الشر.

وهؤلاء القوم أنفسهم كانوا يزعمون، في سياق سورة المائدة نفسها، القرب من الله تعالى لأنهم أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، إنهم مثل بعضنا الآن يفتخرون بمنجزات آبائهم، لا بأعمالهم هم نفسها.. كأن معهم صكوك إلهية. هنا طلب منا الوحي الكريم أن نبتغي إليه الوسيلة بأعمالنا نحن وليس بأعمال آبائنا أو أجدادنا! فلا يملك أحد صكا إلهيا.

يا بُني.. قلت لك لابد أن تفسر الكتاب بالكتاب، ولابد أن تستدعي الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، مثل قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) الإسراء: ٥٦، ٥٧.

إن القدماء الذين يدعون معبودين غير الله، أو غيرهم ممن يتوسلون بأشخاص في دعائهم، أو يطلبون من الأولياء تحقيق أمانيهم.. لابد أن يعرفوا أن هؤلاء المعبودين أو المتوسل بهم أو الأولياء هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة.. لأنهم لا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْ أحد وَلَا تَحْوِيلًا، وهم يرجون رحمة الله ويخشون عذابه، والوسيلة ليست تلك التي تُسقطونها على الآية من معتقداتكم التي ورثتموها، بل الوسيلة حددتها الآية الكريمة نفسها، لكنكم لا تنظرون على الرغم من أنكم تقرأون، بل وتحفظون، وإن نظرتم فلا تلفتون إلى الألفاظ الصريحة الكاشفة في الكتاب المبين!

وصمت العبد الصالح قليلا..

وهنا بادره الغريب المعترض: إذن أخبرنا ما تلك الوسيلة التي حددتها الآية؟ وما الألفاظ الصريحة الكاشفة عنها في الكتاب المبين؟».

# الاقتصاد الرقمي والاستقلال الإستراتيجي للدولة

١٢ يونيو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

لا يمكن أن ينكر أحد أن التكنولوجيا الذكية الرقمية ضرورة فى إدارة الدولة الوطنية العصرية سواء على المستوى الاستراتيجى من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، أو على مستوى الحياة اليومية للأفراد؛ وذلك بعد تسارع الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، وما أدت إليه هذه الثورة من تداعيات فى أداء عمليات التبادل والاتصال والتفاعل الحتمى بين كل الجهات الدولية والإقليمية والمحلية. وهذه مسألة باتت حقيقة، ومن تأخر فى إدراك هذه الحقيقة، فقد فاجأته جائحة كوفيد-١٩ التى صدمت العالم كله لتؤكد من جديد هذا المطلب الملح للتكنولوجيا الذكية الرقمية. ولقد رأينا أهمية ذلك عن قرب فى جامعة القاهرة على مستوى العملية التعليمية، وإجراء الامتحانات، والبحث العلمى، والشمول المالى، وحوكمة الإدارة؛ الأمر الذى لم يؤد فقط إلى سرعة التكيف مع جائحة كورونا، بل أدى أيضا إلى المساهمة فى التقدم فى التصنيفات الدولية، والحصول على الاعتماد الدولى وشهادات الأيزو الدولية لعدد كبير من الكليات والبرامج. ويأتى مؤتمر ومعرض الاقتصاد الرقمى (سيملس الشرق الأوسط ٢٠٢٢)، كمناسبة دولية للتأكيد القوى على أهمية التحول الذكى الرقمى فى كل الأنشطة والمجالات بما فيها المجال الاقتصادي؛ فالاقتصاد هو قاطرة الدول نحو القوة والتقدم وتحقيق حياة كريمة للشعوب، وهو آلية مهمة لتحقيق الوحدة الاقتصادية الإقليمية للعالم العربى، وتحويله إلى قوة اقتصادية عالمية. وأتصور أنه يجب علينا مناقشة أهم التحديات التى تواجه الاقتصاد الرقمى فى منطقتنا، ولعل من أبرزها: أولا: انخفاض نطاق الاستقلال الاستراتيجى الرقمى للدولة الوطنية فى العالم كله، نظرا لاحتكار الدول الكبرى وقلة من الشركات العملاقة لمصادر البيانات، وتكنولوجيا تحليل البيانات، وامتلاك الأدوات الرقمية الذكية؛ الأمر الذى يثير شكوكا حول تراجع قدرات أغلب الدول على فرض سيادتها كاملة فى الفضاء السيبرانى وما يرتبط بها من تطبيقات رقمية بالغة التنوع. وهنا يمكن الإشارة إلى تحد آخر، يتجلى فى صراع الدول الكبرى على السيطرة على الفضاء السيبرانى بالقدر نفسه للصراع على الفضاء الكونى، حتى غدا الفضاء السيبرانى ساحة جديدة للحروب والصراع، وأصبح أداة من أدوات السيطرة ومد النفوذ الاستعمارى بأشكاله الجديدة. ثانيا: عدم توحيد نطاق المسئولية عن التحول الرقمى، وما يترتب على ذلك من عدم ضمان وحدة المسار الاقتصادى للدولة، سواء فى التفاعل مع الاقتصادى الخارجى أو مواجهة الاقتصاد الموازي؛ حيث يثير التحول الرقمى خاصة فى المجال الاقتصادى التساؤل حول تحديد نطاق المسئولية عن هذا التحول، وإلى أى مدى تكون مشاركة القطاع الأجنبى والقطاع الخاص وغيره من القطاعات غير الحكومية فى عملية التحول الرقمي؟ وكيف يمكن تنظيم عملية التحول الرقمى وتقنينها للحفاظ على وحدة النظام الاقتصادى للدولة فى نطاق الحفاظ على الاستقلال الاستراتيجى للدولة فى المجال الرقمى؟ ثالثا: اتساع الفجوة الرقمية بين الدول المنتجة للتكنولوجيا المعرفية والدول المستهلكة لهذه التكنولوجيا، ففى عصر التحول الرقمى أصبحت البيانات أحد الأصول الاستراتيجية الرئيسة لقيادة الدول سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، حيث تؤثر طريقة معالجة هذه البيانات بشكل كبير على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بل وتؤثر على سلامة ودقة وسرعة أداء الدول ومدى استقرارها. فالبيانات متعددة الأنواع والأبعاد، وطريقة استخداماتها لها آثار واسعة النطاق ليس فقط على مستوى التجارة والتنمية الاقتصادية، ولكن أيضًا على مستوى تحقيق السلام المجتمعى والأمن الداخلى والخارجى، ومن ثم تحديد مدى قدرة الدولة على تحقيق الاستقلال والاستقرار الاستراتيجى. رابعا: ضعف البنية التحتية الرقمية بصفة عامة، والاقتصادية والمالية الرقمية على وجه الخصوص، مما يشكل تحديًا كبيرا لكثير من الدول الفقيرة والنامية والدول محدودة القدرات الاقتصادية بشكل عام، ويضاف لهذا عائق الاعتماد على الخبرات الأجنبية الخارجية فى تأسيس هذه البنية الرقمية التحتية. وقد كشف اتساع نطاق الاستخدامات الرقمية منذ جائحة كوفيد ـ ١٩ على ضرورة تأسيس هذه البنية لدى كثير من الدول بالإضافة لتحديثها وتوسيعها لدى دول أخرى، الأمر الذى فرض أعباء اقتصادية جديدة على موازنات تلك الدول. خامسا: انتشار الأمية الرقمية بشكل عام، لا سيما فى الشئون الاقتصادية والمالية الرقمية، مما يمثل عائقا أمام تحقيق التحول الرقمى فى المجال الاقتصادى واعتماده كطريقة عمل جوهرية فى عمليات قطاع البنوك. ويزيد من حجم وحدة هذه المشكلة انتشار الجرائم الالكترونية وتنوع أساليبها وتجددها، ويسهم فى نجاح هذه الجرائم انخفاض الوعى الرقمى ومحدودية المعرفة بالاستخدامات الالكترونية. وفى المجتمعات التى ما زالت تعانى أمية القراءة والكتابة، يتجلى هذا التحدى على نحو أكثر خطورة خاصة فى مجال الأمن القومى فى النطاق الاقتصادى. إن التحديات الخمسة السابقة تفرض نفسها على مائدة الأولويات، ويجب التفكير فى حلول عملية لها؛ حتى يمكن امتلاك اقتصاد رقمى ذكى وقوى تتحقق معه وحدة النظام الاقتصادى للدولة، كما يتحقق معه إحكام عمليات حوكمة الإدارة، مما يسهم فى الإسراع بعمليات التنمية المستدامة، وتحسين أنماط الحياة، وقوة رأس المال المجتمعى، وزيادة نطاق الاستقلال الاستراتيجى العام للدولة.

# الاقتصاد الرقمي والقضاء على الغباء الهيكلي

١٩ يونيو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«لا شك أن التحول الرقمي الذكي ضرورة من أجل المساهمة في القضاء على «الغباء الهيكلي» الذي يصيب قطاعات متعددة في الدول النامية وربما بعض الدول الأكثر نموا أيضا.

إن الغباء الهيكلي له مسببات عديدة ومتنوعة، مثل:

- البيروقراطية.
- الأداء الإداري الضعيف والمتراخي.
- العقليات الإدارية المتعفنة.
- فقدان إرادة التقدم نتيجة غياب الحافز البشري الفردي.
- الخوف من تحمل المسئولية في اتخاذ القرار نتيجة عدم توفر الحماية وعمليات التشكيك وغيرها... إلخ.
- البيئة الاجتماعية المريضة للعمل والتي يغلب عليها الغيرة الوظيفية المريضة، والنميمة الإدارية، والانسياق وراء الشائعات، وسرعة الاستنتاج دون أدلة كافية، والجدل اليومي العميق.

ولابد من معالجة هذه المسببات على نحو واسع، وبطرق ووسائل مختلفة، ولا شك أن «التحول الرقمي الذكي والشامل» له أولوية من أجل المساهمة في الإسراع بالقضاء على الغباء الهيكلي والتباطؤ.. نعم إن التحول الرقمي ليس الحل الوحيد، فهو علاج واحد مع علاجات أخرى في «روشتة» العلاج على مستوى التشريعات، والتدريب الإداري والمالي، وتطوير العقليات وطرق التفكير، والنظر الجدي في تفعيل الحافز البشري القائم على التمييز حسب الكفاءة والجهد والنتائج، والقضاء على البيئة الاجتماعية المريضة للعمل.

وبهذه المناسبة، يجب تسجيل أن أحد أهم الفروق بين الدول المتقدمة والدولة المتخلفة هو الحافز الفردي والحماية التي وفرتها الدول المتقدمة للأفراد؛ خاصة أن الجودة الهيكلية للأنظمة الإدارية لا تكفي وحدها بدون العنصر البشري؛ ولن تتحول الجودة الهيكلية إلى «ذكاء هيكلي» دون الممارسات الفردية الذكية والتي لديها الحافز المستمر والدائم، كما تتمتع بالثقة وعدم الخوف.

وكل هذا يقودنا إلى الحوكمة بمعناها الحقيقي، كما يقودنا إلى معرفة أهمية «التحول الرقمي الذكي والشامل» كجزء من حوكمة إدارة الدول بشكل عام، فالحوكمة الشاملة تقضي بطبيعتها على الغباء الهيكلي، ولا يمكن تصور الحوكمة بدون العمليات الرقمية وبدون الأفراد الأكفاء الذين يقومون بهذه العمليات.

ومن هنا فإن التحول الرقمي لن يسهم في الإسراع بالتقدم الاقتصادي فقط، وإنما كذلك سوف يسهم في تقليل «الغباء الهيكلي» العام، وازدياد قوة مؤسسات الدولة، ليس فقط على مستوى الأداء، ولكن أيضا على مستوى التمتع بالثقة في أعمالها وكوادرها؛ حيث إن العمليات الإلكترونية تتمتع بالموثوقية لدخول أطراف من جهات خارجية عديدة فيها قبل الصرف، ولكونها تجعل العمليات المالية مرئية لكل الأطراف المختصة في الدولة.

وهذه مسألة بالغة الأهمية، فالثقة في مؤسسات الدولة وفي قياداتها محور بالغ الأهمية في قوة الدولة. ومصداق ذلك أن أعداء كل دولة يستهدفون بشكل أساسي زعزعة الثقة بمؤسسات الدولة واستهداف قياداتها بالشائعات واختلاق الأخبار الزائفة عنها.

والدول الذكية لديها قدرة على إدراك ذلك والتعامل معه بأساليب متعددة؛ وتستطيع أن تحمي مؤسساتها وكوادرها من كل محاولات زعزعة الثقة؛ خاصة تلك التي تملك اقتصادا رقميا وتخضع عملياتها المالية للأنظمة الإلكترونية والمراقبة قبل الصرف وبعده؛ مما يؤكد سلامة التعاملات المالية؛ حيث إن العمليات الاقتصادية الرقمية جزء من تحقيق الشفافية والدقة والثقة.

ومن ثم غلق منفذ مهم أمام أعداء الوطن المشككين من الخارج، وأيضا أمام الطابور الخامس الداخلي الذي يزعم أنه ابن الوطن بينما يعمل من أجل زعزعة استقراره والتشكيك في مؤسساته.

لسنا بحاجة إلى إعادة التأكيد على أن التكنولوجيا الذكية الرقمية ليست من قبيل الكماليات أو الأمور الرفاهية في إدارة الدول، بل صارت من أولويات العصر في كل المجالات وفي كل أنوع المعاملات والخدمات. ولعل هذا ما دفعنا أثناء المشاركة في مؤتمر ومعرض الاقتصاد الرقمي (سيملس الشرق الأوسط ٢٠٢٢) بدولة الإمارات، إلى التأكيد على ضرورة شمول واستيعاب الثورة الرقمية لكافة المعاملات في كل الميادين للمساهمة في القضاء على «الغباء الهيكلي».

وبشكل عام، لا يمكن أن نخادع أنفسنا وننفي ما تشهده أكثر بلاد المنطقة العربية من «غباء هيكلي» نتيجة العوامل السابق الإشارة إليه أعلاه، بالإضافة إلى القصور المتفاوت نسبيا في الجوانب المعرفية، والتحول الرقمي، واستخدام التطبيقات الذكية، ومؤشرات الابتكار، بالمقارنة بالدول المتقدمة أو الصاعدة.

وفي الوقت نفسه لا يمكن إنكار أن هناك دولا عربية ناجحة رقميا وتبدو كنماذج رائدة في التحول الرقمي، مثل: جمهورية مصر العربية كما يتجلى في مبادرتها الرقمية ورؤيتها الرقمية التنموية الشاملة، والإمارات العربية المتحدة في تبنيها للاقتصاد الرقمي الذكي والحوكمة الرقمية، ومبادرة التحول الرقمي في رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م.

وعلى مستوى المؤسسات، فهناك نماذج كثيرة في مصر والإمارات والسعودية وبعض الدول العربية الأخرى، لها الريادة في التحول الرقمي في المنطقة العربية، ولا شك أن من بينها جامعة القاهرة التي طبقت الشمول المالي الرقمي بصرامة على كل الجهات التابعة لها منذ وقت مبكر مع بداية عام ٢٠١٨، بالتوازي مع الدورة المستندية إعمالا للقوانين واللوائح الحاكمة، مع تقليل المركزية الإدارية لتحقيق أكبر قدر من التدفق في العمليات طبقا لقواعد الحوكمة».

# النظم الخبيرة في الإدارة

٢٦ يونيو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«إن الإدارة القديمة تعتمد على الذاكرة الفردية، والتجربة الخاصة، والمتابعة الشخصية، وربما الإلهام الخاص، وفي الدول النامية تبرز مهارة «الفهلوة»! لكنها إدارة عقيمة، ربما تصلح لأصحاب «المحلات التجارية التقليدية»، لكنها لا تصلح لإدارة المؤسسات الكبرى والشركات العابرة للقارات.

أما الإدارة الجديدة، ونظرا لاتساع وتعقد عمل الحكومات والمؤسسات والشركات، تسعى الآن إلى الاستفادة من النظم الخبيرة Expert Systems، وتعمل على توظيفها؛ دون التخلي عن العنصر البشري الخبير.

والنظم الخبيرة هي تطبيقات توظف تقنيات الذكاء الاصطناعي لمحاولة صنع «نظام محاكاة رقمي ذكي» لخبير متخصص أو إدارة متخصصة، تقوم بجمع المعلومات المتوفرة، وتكوّن تاريخا معلوماتيا لكل عملية، وتستطيع أن تبني خبرة متراكمة، وتمتلك ذاكرة ذهبية تمكنها من الربط بين الماضي والحاضر. وبهذا تشتمل على كل المعلومات والخبرات الخاصة بمجال معين. كما أن النظم الخبيرة تمتلك محركا استدلاليا Inference engine يعالج المعلومات والخبرات ويستنتج منها النتائج، ولديها القدرة على وضع نماذج مستقبلية، وتصور سيناريوهات محتملة للمستقبل، وإصدار القرارات.

ولذا فإن النظم الخبيرة تمكن من المساعدة على اتخاذ القرارات المختلفة بكفاءة، وتعزز من جودة القرار، خاصة أن قدرات النظم الخبيرة تجاوز القدرات البشرية في تكوين قاعدة معلومات موسعة وتشخيص الأوضاع وتوصيف سلبياتها وإيجابياتها. ولديها القدرة النسبية على التفسير، كما أن لديها القدرة نسبيا على اقتراح حلول للقضايا والمشكلات على مختلف أنواعها.

ولذا فقد بات من الأهمية بمكان، التنبه في مجال الإدارة إلى أهمية تطبيق «الذكاء الاصطناعي» في التحول الرقمي، ويجب أن تسعى الحكومات على الأرض إلى توظيف الذكاء الاصطناعي، نظرا لدوره المتعدد سواء على مستوى التخطيط الاستراتيجي والنوعي، أو على تصميم الخطط التنفيذية وعمليات الإدارة، بل أيضا على مستوى إدارة ومتابعة المشروعات التنموية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصناعية والعسكرية والخدمات اللوجستية والتعليم والصحة...إلخ.

إن تطوير المنظومات الإدارية الحكومية لا يمكن أن يتم دون استخدام النظم الخبيرة، في أنظمة التحكم في الخدمات المالية، والرعاية الاجتماعية، والأنظمة الطبية، ومجالات الصناعة، والمال والتجارة، وخدمة العملاء، وأيضا في التعاون الدولي، وأنظمة المراقبة، والعمليات الإنتاجية، وتمتد لكافة المجالات الأخرى أيا كانت..

لكن ليس معنى هذا التخلي عن العنصر البشري؛ لأن هناك جوانب ديناميكية في أي عملية لصناعة القرار، كما أن هناك استخلاصات عليا لا يمكن أن يقوم بها إلا العقل البشري الخبير.. علاوة على المرونة والإبداعية التي يتمتع بهما التفكير الإنساني.

لكن في الوقت نفسه، فإن هناك عددا ضخما من المعلومات، والمفردات، والمعطيات، والخبرات المتراكمة عبر تاريخ المؤسسة، يمكن أن تسترجعها وتعالجها النظم الخبيرة أفضل من العقل البشري. ويمكن لها أن تقضي على انقطاع استمرار المعلومات بين الإدارات السابقة والإدارات الجديدة، خاصة في الدول التي تقوم فيها الإدارات السابقة بمحو المعلومات عند انتهاء فترة إدارتها!

أضف إلى هذا أن النظم الخبيرة يمكن أن تساعد في البلدان التي ليس لديها خبراء بشريون ذوو كفاءة، كما أنها تستحضر دوما نتائج العمليات السابقة مما يمكن من عدم تكرار الاستنتاجات الخاطئة.

وربما يأتي اليوم الذي يستخدم فيه صناع القرار النظم الخبيرة، حتى يتجنبوا عمليات الخداع التي يتعرضون لها؛ فالعرض البشري للمعلومات من الأدنى أمام الأعلى محل ريبة، بكل مساوئ العرض البشري الذي يتضمن بعدا ذاتيا، حيث يتم إخفاء بعض المعلومات، كما قد يتضمن بعض المغالطات الخفية. وقد رأينا في كثير من دول العالم، بما فيها الدول المتقدمة، العروض التقديمية الزائفة التي تجمل المشهد، وتصنع عالما افتراضيا ليس له علاقة بالواقع الحي. ومن حسن الطالع أن المحنكين من صناع القرار يدركون هذا.

والأمر الأكثر غرابة، هو أن استخدام النماذج الإحصائية والاستدلالية والذكاء الاصطناعي وحدها دون العقل البشري الخبير، قد يوقع في استدلالات بالغة الخطأ، في تقدير كثير من القضايا، وقد أثبت الواقع لاحقا خطأها. مما يعني ضرورة تدخل العقل البشري مع النظم الخبيرة؛ خاصة أن الاستنتاجات الإحصائية الحاسوبية تعتمد على الكم أكثر مما تعتمد على الجوانب الكيفية.

وتأسيسيا على ذلك كله، فإن النظم الخبيرة في الذكاء الاصطناعي، لها مميزات كما أن لها عيوبا، لكنها ضرورية للغاية في تقديم المساعدة، والمشورة، وتفسير عمليات الاستدلال، والتنبؤ ببعض النتائج، وطرح سيناريوهات بديلة عديدة، حيث يمكنها رؤية جوانب قد لا يراها العقل البشري.

كما أن النظم البشرية الخالصة لها مميزاتها وعيوبها، لكنها في كل الأحوال تتمتع بمرونة وديناميكية وقدرة على الاستبصار. ولذا يجب توليد نموذج ثالث يجمع بين النظم الخبيرة الحاسوبية والنظم الخبيرة البشرية.

ومن هنا لابد من الجمع بين النظام الخبير والكفاءة البشرية، حيث تعزز النظم الخبيرة من استمرارية تدفق المعلومات، وتزيد من القدرة البشرية على رؤية أشمل لكل المتغيرات، كما تمكنها من إصدار أحكام أدق، واتخاذ القرار الأكثر تحقيقا للمصلحة. وكل هذا غير ممكن من دون تطوير التعليم والبحث العلمي، وإدخال تخصصات جديدة. وهو ما قامت به جامعة القاهرة بإدخال تخصصات جديدة في كلية الحاسبات والذكاء الاصطناعي، وسيرها قدما في سبيل إنشاء كلية جديدة لتطبيقات الذكاء الاصطناعي والروبوت، فضلا عما قامت به في أنظمة التدريس والتقويم من خلال استخدام بيئة إليكترونية ذكية تجمع بين النظم الخبيرة والعنصر البشري. ولا يزال أمامها الكثير لتنجزه».

# قضايا التنمية والاقتصاد الرقمي

٣ يوليو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«في الوقت الذي لا تزال تعيش فيه أجنحة من المجتمع في غيبوبة الصراع حول معارك الماضي، وكل يوم تملأ الفضاء الرقمي بنزاعات حول قضايا وهمية أو فرعية، فإنه في المقابل توجد أجنحة أخرى عاقلة تعمل على قضايا التنمية والتقدم والحد من الفقر وتحسين جودة الحياة. ولا شك أن الاقتصاد أهم المسارات لتحقيق ذلك، وفي القلب منه الاقتصاد الرقمي.

لقد دخل الاقتصاد الرقمي، منذ سنوات مربع الأولويات الاقتصادية في عمليات تحديث المجتمع والدولة؛ حيث أصبح الاقتصاد الرقمي أكثر أنماط الاقتصاد تصاعدا، لاسيما مع ما فرضته جائحة كورونا التي حتمت على العالم التباعد وعدم التعامل المباشر على مستوى الجسد، ووسعت التعامل عبر التواصل الإليكتروني.

وهذا ما أكدنا عليه في مداخلتنا في مؤتمر ومعرض تكنولوجيات الاقتصاد الرقمي (سيملس الشرق الأوسط ٢٠٢٠)؛ والتي رجعنا فيها إلى مصادر المعلومات المتخصصة مثل البنك الدولي، ومؤشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كأحد المؤشرات الفرعية لمؤشر الابتكار العالمي الصادر عن المنظمة العالمية للملكية الفكرية، والمعلومات المعلنة من هيئة الرقابة الإدارية والبنك المركزي المصري ووزارة الاتصالات ووزارة المالية ووزارة التخطيط وغيرها. وتشير كل هذه المصادر إلى أن ظاهرة الاقتصاد الرقمي قد ارتفعت على نحو متزايد وطردي في الأدبيات الاقتصادية منذ بدايات القرن الحادي والعشرين، بوصفها نمطا حديثا ومتزايد النمو في كافة الأنشطة الاقتصادية.

وهناك خمسة معايير رئيسة لتقويم الاقتصاد الرقمي في أية دولة، حسب البنك الدولي، وهي:

- مدى توافر وجودة المهارات الرقمية.
- حجم وحداثة البنية التحتية الرقمية.
- درجة انتشار المنصات الرقمية العامة.
- حجم الأعمال التجارية الرقمية.
- مدى اتساع الخدمات الرقمية المالية.

وإذا أردنا أن يكون لنا مقعد في الاقتصاد العالمي، فإن علينا تعزيز الاستفادة من نمو الاقتصاد الرقمي؛ لأنه يمكن أن يساهم من خلال آثاره المباشرة وغير المباشرة في تحقيق زيادة في معدلات النمو لأنشطة الاقتصاد المختلفة، وذلك مثل:

- عمليات دمج الاقتصاد غير الرسمي في الاقتصاد الرسمي.
- التدقيق في تحديد وفرز فئات محدودي الدخل، وتحسين الظروف المعيشية من خلال «خطط استهداف الفقراء».
- تحسين العملية التعليمية ومنظومة الامتحانات.
- تطوير ملفات إدارة الخدمات الحكومية.
- التوسع في الشمول المالي.
- المساهمة الإيجابية في الناتج المحلي الإجمالي.

وفي سياق الرقمنة داخل الاقتصاد المصري، فقد اتخذت الدولة جهودا كبيرة، وقامت العديد من مؤسساتها بقطع شوط كبير في ذلك مثل هيئة الرقابة الإدارية، والبنك المركزي المصري، ووزارة الاتصالات، ووزارة المالية. وعلى سبيل المثال: فإن هيئة الرقابة الإدارية تقود عمليات التحول الرقمي في كافة المؤسسات نظرا لأهميتها في تحقيق الدقة والشفافية في العمليات المالية والحد من العمليات الفاسدة التي كانت تجد لنفسها مرتعا في التعامل الورقي البحت. كما أن البنك المركزي المصري، اتخذ زمام المبادرة في انتهاج عدد من السياسات الجريئة التي فتحت الطريق نحو التحول الرقمي في الأنظمة المالية، ونجح في التكيف مع تداعيات جائحة كورونا عند بداية تصاعدها بسبب ما اتخذه من إجراءات وقرارات سريعة للحد من نطاق التعاملات النقدية المباشرة، مثل: فتح حسابات الإنترنت البنكي لعملاء البنوك، وتطوير وتوسيع البنية التحتية للمدفوعات، ومبادرة البنك المركزي للإقراض الرقمي، وتطوير منظومة التصنيف الائتماني السلوكي، وتطبيق إجراءات التعرف على هوية العملاء بطريقة إليكترونية لعملاء البنوك الجدد، وإلغاء الرسوم والعمولات المطبقة على رسوم نقاط البيع والسحب من الصرافات الآلية والمحافظ الإلكترونية لمدة ستة أشهر، ووضع حد أقصى يومي لعمليات السحب والإيداع بفروع البنوك، وإعفاء التحويلات المحلية بالجنيه المصري لمدة ثلاثة أشهر من كافة العمولات. أما وزارة المالية، فقد بدأت منذ سنوات، العمل بنظام معلومات الإدارة المالية الحكومية، وأنظمة التحصيل والدفع الإلكتروني للمستحقات والمدفوعات الحكومية. وكان ولا يزال لوزارة الاتصالات الدور الكبير في عمليات الرقمنة ودعم مؤسسات الدولة في عمليات التحول الرقمي. وتشير أحدث البيانات الصادرة عن وزارة الاتصالات المصرية، إلى المساهمة الإيجابية لقطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إجمالي الناتج المحلي الإجمالي.

وفي جامعة القاهرة، فقد أعلنا منذ سنوات عن بدء التحول إلى جامعة ذكية من الجيل الثالث في مؤتمر صحفي في أغسطس ٢٠١٧، وكانت خطتنا الاستراتيجية على خمس سنوات، لكننا استطعنا تحقيق معظمها في ثلاث سنوات، حيث تم الانتهاء من عمليات الشمول المالي كاملة وربطها بقواعد بيانات إليكترونية كاملة لجميع منسوبي الجامعة، واتصالها بالبنك المركزي المصري ووزارة المالية. وأصبح لدينا أكبر منصة ذكية إليكترونية على مستوى العالم للتعليم والامتحانات عن بعد، ومرتبطة بالنظام المالي للجامعة وتسديد المصروفات، وتستوعب ٢٧٠ ألف طالب و١٨ ألف عضو هيئة تدريس و ١٤ الف مقرر دراسي. وتم قطع شوط كبير في تطوير البنية التحتية الرقمية وإدخال الشاشات التفاعلية للتعليم ومراكز الاختبارات الإليكترونية، وجميعها مرتبطة مع بعضها البعض في نظام رقمي هو الأكبر من نوعه على مستوى جامعات العالم».

# الذكاء الاصطناعي والدولة الحديثة

١٧ يوليو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«توجد فكرة شائعة تقول: «إن الروبوتات سوف تفعل وتفكر مثل البشر، وقد يكون بشكل أكثر كفاءة في المستقبل». لكنني لا أزال أؤمن أن الآلة الذكية من صنع البشر، وأن الشكل الأمثل في المستقبل سوف يكون للدمج بين الذكاء البشري وذكاء الآلة في منظومة تفاعلية واحدة.

وبالفعل بدأت ملامح هذه الثورة في العديد من الدول المتقدمة، وأصبحت تستخدم بالفعل. لكنها لا تزال حلما في كثير من دول العالم الأخرى، بل إن أغلبها لا تزال قابعة بعيدا عن أن تحلم بذلك. فلا تزال أحلامها تدور حول قضايا الملبس والمأكل.. ماذا تلبس؟! وماذا تأكل؟! وكيف تتطهر من النجاسة؟! ولا تزال أحلامها تعيش على ذكريات الماضي ومعاركه! ولا تزال تتعارك في كل قضايا الجزء السفلي من الجسد! ولا تزال تناقش كل البديهيات!

وفي الوقت نفسه الذي لا يزال دعاة الخطاب الديني القديم يفكرون في قضايا الاقتصاد الرعوي القديمة، فإن العقلاء الآن يعملون على توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في إعادة بناء هياكل الاقتصاد، بل وهياكل الدولة كلها وعلاقاتها الداخلية والخارجية، ويفككون العلاقة التقليدية بين الأفراد والمؤسسات، ويعملون على إعادة تشكيلها طبقا لنظم حديثة.. في ادارة المرافق التعليمية، والمؤسسات الطبية، والعمليات التشغيلية في المزارع والمصانع، وفي كل الخدمات الحكومية للمواطنين.

وهنا لابد من التوقف كثيرا أمام تحديات البيانات الضخمة ودورها في إدارة الدول والمؤسسات؛ حيث أصبح لا مفر من توظيف تطبيقات الذكاء الصناعي في الإدارة، فتحليل البيانات الضخمة غير ممكن بدون استخدام الذكاء الاصطناعي في كل المجالات، لا سيما عند اتخاذ القرارات الاقتصادية فيما يتعلق بحركة السوق، وقوى العرض والطلب، ومكافحة الاحتكار. وأيضا عند إدارة القضايا الاجتماعية والبيئية ومواجهة التغير المناخي. علاوة على استخدام الذكاء الاصطناعي في مجال المنافسة الاقتصادية والتجارية على مستوى العالم.

ويأتي الإيمان بضرورة توظيف الذكاء الاصطناعي في تمكين الاقتصاد الرقمي في الدول العربية، من الإدراك الخاص لأهمية التحول الرقمي لبناء اقتصادات رقمية متطورة ومستدامة بالبلدان العربية، ودعم خطط التحول والشمول المالي وتطوير البنية التحتية الرقمية. ومن هنا جاء تأسيس الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي من قبل مجلس الوحدة الاقتصادية العربية في أبريل ٢٠١٨. وفي مؤتمر ومعرض تكنولوجيات الاقتصاد الرقمي (سيملس الشرق الأوسط ٢٠٢٠)، طرحت تلك الأفكار عن الذكاء الاصطناعي. وأذكر أنني طلبت من كلية الحاسبات بجامعتنا العريقة أن تتطور لتصبح كلية للحاسبات والذكاء الاصطناعي، وطرحت أمام الحضور عدة سيناريوهات في ديسمبر ٢٠١٨ خلال كلمتي الافتتاحية بالمؤتمر الدولي الـ ١١ للمعلوماتية والنظم. وعملنا بقوة حتى تحولت فعلا «كلية الحاسبات والمعلومات» إلى « كلية الحاسبات والذكاء الاصطناعي». وكنا نطمح من وراء ذلك إلى تنفيذ سياسات جامعات الجيل الرابع في تحسين مخرجات التعليم والبحث العلمي واعطاء قيمة مضافة للاقتصاد الوطني، وتحقيق تقدم في كل التصنيفات الدولية، وقد سعدنا بعد ذلك بأعوام أن هذا كان أحد أسباب تقدم مصر ٥٥ مركزا في مؤشر «جاهزية الحكومة للذكاء الاصطناعي» ص ٨٣، الصادر عن «أكسفورد إنسايتس».. مما شجعنا بعد ذلك أن نبدأ في إجراءات إنشاء كلية جديدة بفرع جامعة القاهرة الدولي، هي « تطبيقات الذكاء الاصطناعي والروبوت».

وفي ذلك المؤتمر، طرحنا أيضا العديد من الأفكار حول مستقبل الاقتصاد الرقمي، وأهمية خلق نماذج اعمال جديدة، وخاصة فيما يتعلق بتوظيف «الذكاء الاصطناعي» في إدارة كافة العمليات الزراعية والصناعية والإنتاجية بشكل عام، والمنظومة البحثية والتعليمية، بالإضافة إلى الخدمات الصحية، وتحسين الخدمات الرقمية الأمنية.

إن تلك الطموحات تواجهها تحديات كبرى في كثير من الدول العربية، وعلى سبيل المثال نذكر منها: ضرورة وضع السياسات والخطط الشاملة والتشريعات التي تعمل على تأمين وحماية خصوصية البيانات، والأصعب هو وضع الأطر التنفيذية وقيام الجهات المسئولة بتنفيذها على أرض الواقع لضمان حماية الخصوصية من أي اختراق أو تعد. ويمتد هذا الأمر ليشمل التعامل مع مخاطر الأمن الرقمي بكافة أشكاله، ومواجهة الأزمات ذات الصلة بإدارة تلك المخاطر، علاوة على أن العديد من الدول العربية لا تزال تواجهها أزمة عدم كفاية التمويل اللازم لتعزيز وتطوير البنية التحتية الأساسية الرقمية، وأيضا الخدمات الرقمية.

على جانب آخر، فإن أمامنا، في عدد كبير من الدول العربية، عددا من المعوقات التي قد تعرقل الجهود الساعية إلى توظيف الذكاء الاصطناعي وتطوير الخدمات الرقمية، ذكرنا العديد منها في المؤتمر المشار إليه، مثل:

١. ضعف الثقافة والوعي عند قطاعات واسعة من المجتمع العربي باستخدام التقنيات الحديثة.

٢. ضعف ثقافة التعامل لدي أغلب العاملين بالجهاز الحكومي في كثير من الدول العربية، مع تكنولوجيا المعلومات، وانخفاض درجة القدرة والمهارة دون المستوى المطلوب الذي يتناسب مع طموح بعض الدول وخططها.

٣. ضعف البنية التحتية الحالية في أغلب الدول العربية والتي قد لا تتناسب مع التوسعات المستقبلية الهائلة في التطبيقات التكنولوجية الصاعدة على مستوى العالم.

٤. عدم كفاية القدرة الهيكلية على تفعيل القوانين والتشريعات الخاصة بحماية البيانات وحقوق الملكية الفكرية.

والسؤال: أين دعاة الخطاب الديني القديم من تلك التحديات وهذه المعوقات؟».

# التقدم والبشر وبيئة الأعمال

٢٤ يوليو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«لعلنا لا نختلف أن التقدم في المقومات المادية لا يكفي وحده للوصول إلى الغايات المرجوة من صناعة التقدم؛ إذ لابد من العمل المنهجي على توفير الكوادر البشرية والعمل على تأهيلها؛ فالقدرات المادية على الرغم من أهميتها القصوى، لا يمكن أن تعمل دون البشر. ولو فرضنا جدلا أنك أخليت دولة متقدمة من شعبها، ثم وضعت مكانه شعبا آخر بأكمله من شعوب دول العالم الثالث، وأصبح تحت يد هذا الشعب كل إمكانيات تلك الدولة المتقدمة، فأبشرك بأن هذه الدولة المتقدمة سوف تتخلف!

إن البشر هم كلمة السر، والبشر هم اللاعب الرئيس في كل عملية التقدم والتخلف.

وهنا نجد أنفسنا أمام عنصر آخر ذي أهمية قصوى في عملية صناعة التقدم، وهو «المناخ الملائم للعمل والإنتاج»، فبجوار المقومات المادية والكوادر البشرية لابد من توفير «بيئة الأعمال» التي تساعد على العمل والنمو، نظراً لكونها ركيزة العمليات الإنتاجية والتشغيلية داخل المؤسسات والإدارات والمصانع.. تماما مثلما يحدث في عمليات الزراعة، فالنبات الجيد لا يمكنه أن يولد أو ينمو أو يثمر بدون تربة ومناخ ملائم، حتى ولو توافرت له كل عناصر الزراعة الأخرى.. فبدون تربة ومناخ ملائم سوف تفشل عمليات الزراعة، وكذلك بدون بيئة إيجابية للأعمال لا يمكن أن يحدث تقدم في أي نوع من الأعمال.

وليس المقصود هنا فقط بيئة الأعمال الصغيرة التي تحتضن العمل نفسه عن قرب، بل المقصود أيضا البيئة العامة المحيطة على اتساعها.. فأية بيئة مصغرة للعمل سوف تتأثر بالبيئة العامة تأثرا تاما. وغير منفصل عن ذلك البيئة الاجتماعية؛ فالمجتمعات المصابة بأمراض اجتماعية عميقة من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن تنشأ فيها بيئات صحية للعمل.

إن المجتمعات المليئة بالانشغال بالمعارك الجانبية، لا يمكنها أن تدخل معركة التقدم.

ومن هنا، سوف نجد أن أي حديث لنا عن الاقتصاد الرقمي وغيره من مجالات الرقمنة أو مجالات التقدم، غير مجد دون العمل على توفير الكوادر البشرية المؤهلة، والتدريب وإعادة التدريب.

إن الحواسيب الضخمة بوصفها أحد اهم أدوات الإنتاج الصناعي، لا تجدي بدون البشر المؤهلين..

إن الروبوتات والطباعة ثلاثية الأبعاد، لا تعمل بدون كوادر بشرية مدربة..

إن تسارع وتيرة الإنتاج، وارتفاع معدلاته وحجمه وجودته، هي أمور لا يمكن أن تحدث بدون إدارة مؤهلة تحمل عقلا حديثا، بل وبدون إدارة تحمل نفسا سوية.. ومن المعلوم أن النفوس المريضة والحسودة والحقودة والغيورة والتي لديها عقدة نقص مركبة، تفسد أية منظومة وتقضي على الكوادر القديرة بها.

وبدون البشر المؤهلين لا يمكن أن تحقق تقنيات التصنيع الرقمية ثمراتها، وبدون التعليم والتدريب الفعال لا يمكن بناء المنتجات، واستهداف المستهلكين، وإدارة خطوط الإنتاج والمخزون.

وبدون الكادر المتعلم والمدرب جيدا لا يمكن تسريع أتمتة العملية الإنتاجية، وإحداث تغيير في تصاميم الإنتاج المعاصرة.

وهذا ما أدركته الدول الناجحة، وكان له بالغ الأثر علي تحسين نماذج الأعمال، وتحسين قدرة المنتجين على تسويق منتجاتهم بمعدلات أسرع من ذي قبل.

ولا تزال تلك الدول تعمل جاهدة على صناعة الكوادر المؤهلة، بل وتعمل على استقطابها من الدول الأخرى، خاصة من الدول التي لا تجد فيها تلك الكوادر بيئة صحية للعمل.

ولا يزال الاقتصاد الرقمي بحاجة إلى مزيد من الإلحاح، والتأكيد وإعادة التأكيد، على أنه لا يمكن أن يحقق الاقتصاد الرقمي تقدما دون مراعاة مجموعة من التوصيات، ولعل من أهمها ما تم ذكره في مؤتمر ومعرض تكنولوجيات الاقتصاد الرقمي (سيملس الشرق الأوسط ٢٠٢٠)، وعلى الرغم من مرور عامين على هذا المؤتمر، فإن ما تم ذكره من تلك التوصيات لا يزال بحاجة إلى معاودة التأكيد على ضرورة استمرار جهود الدول في تأهيل الكوادر البشرية طبقا للمعايير الدولية حتى يمكنها إجادة صنع التطبيقات التكنولوجية الذكية، وحسن استغلالها وتوظيفها، سواء في عملها أو في حياتها.

ولا يمكن تحقيق نتائج إيجابية في هذا المضمار، دون العمل الجدي على إحداث تغيير جوهري في الهياكل الإدارية التنظيمية للعمل، وتطوير نماذجها، والعمل المستمر على تحسينها. ولذا يجب إعادة تقويم الأوضاع الراهنة. وعند حدوث هذا التقويم، سوف نجد ضرورة إحداث تحول جوهري في سلم الأولويات وفي صناعة الإستراتيجيات والخطط التنفيذية.

ويتطلب هذا تغييرا جذريًا في «محتوى» التعليم والبحث العلمي والتدريب لتحقيق أكبر نسبة من المزايا الإيجابية في صناعة الكوادر البشرية المدربة في كافة الأنشطة، كما لابد من دعم جاهزية العديد من الأجهزة الإدارية لدعم ورعاية الاستغلال الفعال لتلك الكوادر المدربة.

على جانب آخر لابد من توفير مصادر تمويلية مستمرة، حيث قد تواجه الدول تحديات تمويلية مستقبلية في مجال التدريب والتأهيل.

ولن تحقق الدول غاياتها في هذا الإطار بالاعتماد فقط على الجهود الحكومية؛ إذ لابد من الاستعانة بالقطاع الخاص والمجتمع المدني في ذلك القطاع الحيوي، والدخول في مشاريع مشتركة معه، لضمان استدامة أنشطة عمليات التدريب والتأهيل للبشر بوصفهم كلمة السر في أية عملية تقدمية.. مع التركيز المكثف على تحسين بيئة الأعمال».

# حلم الوحدة الاقتصادية العربية

٣١ يوليو ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

تعيش البشرية عصر الثورة الصناعية الرابعة، ومنذ قريب طرقت أبواب الثورة الصناعية الخامسة التي تتميز بالتركيز الأكثر عمقا وتفصيلا وفاعلية على تهجين الذكاء البشري بالتقنيات الحديثة، على عكس الثورة الصناعية الرابعة التي احتدم فيها عدم التوازن بين القوى البشرية العاملة والتقنيات الحديثة. وتدخل العمليات الإنتاجية والاقتصادية، بل وإدارة الدول في عمومها، في القلب من هذا التحول نحو الثورة الصناعية الخامسة.

ولذا لابد أن نعيد تأهيل أنفسنا، وأن نعيد تدشين مؤسساتنا العربية من جديد لكي تواكب العصر، ولكي تنفتح على العالم وعلى كل مجالاته في عمليات التحول. والأمر عندي لا يقف عند هذه الحدود، بل يأخذ طابع الهم التاريخي في البحث عن آليات جديدة للوحدة العربية.. آليات مستحدثة تودع آليات النظام الاقتصاد الرعوي القديم، وتدخل في قلب عصر التقدم المتسارع الوتيرة والذي يعمل على تجديد نفسه باستمرار.

وهذا المبدأ العام في التفكير والتغيير، والانتقال من القديم إلى الجديد والنافع، هو الذي سار عليه الصحابي الجليل عمر بن الخطاب عندما تولى أمر الدولة الإسلامية. ومن روائع عمر أنه استحدث نظما جديدة ليست في الإسلام، مثل الدواوين الحكومية، وأخذ فيها عن الأمم الأخرى. ولم يرفع عمر شعار أننا الأفضل في كل شيء وعندنا كل شيء! واستفاد من الأنظمة الفارسية والرومانية، مثل: بيت المال، وديوان الإنشاء، وديوان العطاء، وديوان الجند، إلخ. كما أبقى عمر على النقود المسيحية والفارسية الذهبية والفضية التي كانت متداولة وعليها نقوشهم. وهو أول من ضرب النقود في الإسلام، بل اعتمد النقش الفارسي مضيفا عليه «لا إله إلا الله» أو «الحمد لله» ووضع على جزء منها اسمه.. (تقي الدين المقريزي، شذوذ العقود في ذكر النقود، ص ٣١ -٣٣).

إننا نعيش في هذا العصر سريع التحول، والمليء بالتحديات المصيرية، ولابد أن نفكر في إطار هموم أمتنا، وفي القلب من هذه الهموم «الوحدة الاقتصادية العربية». وهذا ما سبق أن أكدناه في افتتاحية فعاليات مؤتمر «الاقتصاد الرقمي العربي» في نسخته الأولى، في أبو ظبي ٢٠١٨، والذي تم فيه إطلاق الرؤية العربية المشتركة للاقتصاد الرقمي بالتعاون مع جامعة القاهرة، وذلك لإيجاد صيغة جديدة للتعاون العربي المؤسس على المنظومات الرقمية.

ولا شك أن أشكال الوحدة، وأنماط الدولة، وأنظمة الأمة والإمبراطوريات، قد تغيرت عبر التاريخ، ولم يعد ممكنا الآن أن نستعيد لحظة معينة في الماضي لكي نعيشها الآن، ولا أن نستعيد أيضا آليات العصور الماضية التي كانت تلائم ظروفا اجتماعية وسياسية واقتصادية أخرى غير تلك التي نعيشها الآن.

لقد أصبحت فكرة الإمبراطورية خارج التاريخ، والبشرية ترتقي، والإنسان يتطور، ونحن الآن نعيش في عصر الدولة الوطنية، وربما تأخذ الوحدة في المستقبل أشكالًا أخرى جديدة ومتجددة.

ويحتم السؤال الآتي نفسه: لماذا فشلت كل أشكال الوحدة العربية حتى الآن؟

ربما تكون الإجابة أننا نسعى للوحدة في أنماطها وأشكالها القديمة التي تجاوزها التاريخ.. ولا نزال نفكر بالطريقة القديمة نفسها، ولا نزال نتعارك حول معارك الماضي بذات العقول العتيقة..

إذن لابد أن نبحث عن نمط جديد وعن شكل آخر يتواكب مع روح العصر.. وأن نفكر بطريقة جديدة تتجاوز طرق التفكير الموروثة.

إن كل الحديث في العقود الأخيرة، عن الوحدة العربية، هو حديث ود ومحبة وتقدير متبادل أحيانا، أو حديث تخوين وتخاذل وأنانية في أحيان أخرى. لكنه لم يتحول يومًا ما إلى حديث إيجابي ومنتج عن استراتيجية واقعية ومحددة المعالم وقابلة للتنفيذ.

اليوم، ونحن نسعى إلى البحث عن تنفيذ استراتيجية للتحول نحو « الوحدة الاقتصادية العربية»، ربما يشاء القدر أن يفتح لنا فرصة جديدة لكي نتوحد وفق آليات العصر، لا من أجل شعارات قديمة براقة، ولكن من أجل أن يتحول الاقتصاد العربي إلى واحد من أكبر الاقتصاديات في العالم، خاصة إنه من حيث البنية والموارد يملك الكثير والكثير، إلى درجة تجعله في بؤرة عوامل التأثير في الاقتصاديات العالمية. وهذا ما ظهر مجددا ومؤخرا في أزمة الطاقة العالمية بعد الحرب الأوكرانية والصراع بين الأقطاب الدولية حولها.

واليوم أحلم، ويحلم معي الكثيرون، بأن تتطور الاستراتيجيات العربية وتتحول إلى استراتيجية اقتصادية عربية موحدة عبر منظومة رقمية ذكية موحدة، تفتح لنفسها مجرى جديدا، وتقدم شكلًا مستحدثا من أشكال الوحدة الاقتصادية العربية.

بحكم منطق التاريخ، لا سيما في جانبه الاقتصادي، أرى أننا لو استطعنا أن نوجد آليات مشتركة واحدة في الاقتصاد العربي، ربما سيصنع هذا لنا أشكالا أخرى من الوحدة في الجوانب الاجتماعية والسياسية والتعليمية والثقافية وفي غيرها من الأمور. فالاقتصاد من بين أكثر العناصر المؤثرة في حركة التاريخ، سواء كعنصر ظاهر جليّ أو كعنصر متقنع بالأيديولوجية أو الدين.

والسؤال: متى يأتي اليوم الذي نصل فيه إلى المرحلة التي يمكن أن نتحدث فيها عن العرب كوحدة اقتصادية واحدة أمام كل التكتلات الدولية ذات النزعة الوحشية؟.

# نحو نمط جديد للوحدة العربية

٧ أغسطس ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«في تصوري أن أية وحدة عربية ممكنة في المستقبل، لابد أن تبدأ بالوحدة الاقتصادية وفق نمط جديد يتجاوز الأنماط الوحدوية التقليدية التي تجاوزها التاريخ، وأية محاولة لاستعادة الأنماط القديمة سوف تبوء بالفشل.

فلا نكن أغبياء ونستعيد مرة أخرى ما ثبت فشله.. فإذا كنا نصل في كل مرة إلى نتيجة خاطئة، فمن عمى البصيرة أن نعيد سلوك الطريق نفسه الذي يؤدي في كل مرة إلى النتيجة نفسها.

إن التاريخ يكرر نفسه مع الأغبياء فقط؛ لأنهم لا يتعلمون من التاريخ! والنمط التكراري للتاريخ الذي يعتمد على العود والدوران والاستعادة، لا يحدث إلا في الأمم المتخلفة العاجزة. أما الشعوب الذكية المتبصرة فإنها لا تعيد انتاج التاريخ، بل تصنع لنفسها تاريخا جديدا، ولذلك تجد التاريخ يسير معها في خط تصاعدي تقدمي وليس في نمط تكراري دائري .

إذا أردنا أن نكون كتلة تاريخية تسير نحو الأمام، فعلينا أن نكف عن كل المحاولات البائسة لاستعادة الماضي بحذافيره، وعلينا أن نحلل حركة التاريخ تحليلا علميا لنعرف العوامل الطبيعية المحركة له. وربما نجد أن أكثر تلك العوامل تأثيرا هو الاقتصاد.. حيث تكشف نقاط التحول عبر التاريخ من مرحلة إلى مرحلة أخرى عن أن الاقتصاد يعد من أكثر العوامل تأثيرا في حركة التاريخ، سواء كعنصر ظاهر أو عنصر مصاحب أو عنصر متقنع بالأيديولوجية.

ولا يجب أن نكابر في هذا، فشواهد التاريخ كثيرة، وعلى سبيل المثال فإن أوروبا عندما خرجت من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة كان السبق للاقتصاد في تحريك أوروبا نحو مرحلة جديدة.. فالرأسمالية نشأت، ونشأت معها الليبرالية، فنشأ العالم الغربي الحديث القوي والمتقدم.

ومن وجهة نظري، خلافا للبعض، أن الرأسمالية هي التي صنعت الليبرالية وصنعت العالم الغربي. وكما أن للرأسمالية مميزاتها، فإن لها أيضا مساوئ وعيوبا، وقد طرحت الرأسمالية نقيضها الذي رد عليها، وكان هذا الرد على مساوئ الرأسمالية في هذا الجانب هو الاشتراكية والشيوعية. وعندما نشأت الاشتراكية والشيوعية تكونت الكتلة الشرقية بكل قوتها كأحد قطبين في العصر الحديث. ثم واجهت المنظومتان الرأسمالية والاشتراكية تحديات ضخمة، جعلت كل منظومة منهما تعيد تجديد نفسها . وعلى الرغم من اختلاف المنظومتين، فإنك تجد في كل مرة أن الاقتصاد هو أحد أهم العوامل التي تحرك التاريخ، وتشكل العالم. والاقتصاد أيضا من بين العناصر التي تحدد البنيات الثقافية والذهنية والعلمية والفكرية والفنية، وفي كثير من الأحيان البنيات الفكرية الإنسانية ذات الطابع الديني أيضًا.

من يصنع التاريخ؟

هل هو الدين أم الفكر أم الاقتصاد أم ماذا؟

في الحقيقة.. نجد أنه الدين في بعض الأوقات، وفي أحيان أخرى يكون الفكر الفلسفي الذي يقدمه المصلحون، وفي أحيان ثالثة تجد الصراع الطبقي هو الحافز للدخول في مرحلة تاريخية جديدة، وفي أحيان رابعة تجد أنه الاقتصاد بشكل واضح. وربما هذه العوامل مجتمعة بنسب مختلفة تساهم معا في صناعة التاريخ. وربما تجد في بعض مراحل التاريخ عوامل أخرى.. لكنك تجد في كل الأحوال أن الاقتصاد هو عامل مشترك أصيل في حركة التاريخ، ومصاحب أو سابق على العوامل الأخرى، سواء بشكل ظاهر أو بشكل ضمني؛ حيث تتخفى وتتقنع كثير من الأيديولوجيات بقيم مثالية، لكنها تضمر في باطنها الغايات الاقتصادية.

وتأسيسا على هذا، لابد من أن نفكر في نمط جديد من الوحدة الاقتصادية العربية، إذا أردنا أن ندخل عصرا جديدا للقوة العربية.

ويجب أن نقتنص اليوم تلك الفرصة التاريخية والعالم يعيد ترتيب أوراقه من جديد؛ حيث تبدو في الأفق ملامح عالم دولي جديد، بعد الحرب الروسية الأوكرانية الغربية، والمناوشات البادية بين الولايات المتحدة والصين والتي أخذت منعطفا خطيرا حول تايوان.

إنها فرصة تاريخية لكي يسارع العرب بتنظيم أنفسهم في أشكال جديدة من الوحدة، لصناعة مركز إقليمي جديد في الاقتصاديات العالمية، يمكنه الاستقلال بنفسه في منظومة اقتصادية قوية تستطيع أن تشكل نقطة ارتكاز إقليمي قادر على الدفاع عن مصالحه في عالم متعدد الأقطاب.

وفي ظني أن النظام العالمي الجديد سوف يتلاشى فيه القطب الواحد، ويصبح عالما متعدد الأقطاب.. فلا عودة لنظام القطبين القديم كبديل لنظام القطب الواحد، بل عالمنا القادم سوف يكون متعدد الأقطاب.. فهل سوف نكتفي بالاستجارة والاستنصار بأحد الأقطاب الكبيرة، أم سوف نكون نحن قطبا كبيرا يقف في ندية مع سائر الأقطاب؟

لا سيما بعد قمة جدة التي ظهرت فيها مجموعة (الخليج + ٣)، ككتلة واحدة متسقة تضم دول الخليج ومصر والأردن والعراق.. وهي فكرة جيدة أن تكون هناك وحدة عربية مصغرة بين دول متجانسة بدون الأصوات النشاز، يعقبها التوسع التدريجي المبني على شروط جادة لضم عناصر جديدة تستطيع أن تقوم بالتزاماتها وتعمل مع سائر الأطراف بعقلانية وإخلاص، على غرار الاتحاد الأوربي مع مراعاة الخصوصية العربية وتلاشي عيوب نظام الاتحاد الأوربي.. فلا نريد أن نستعير تجربته كما هي، بل نريد أن نستفيد منها في ضوء المتغيرات الدولية والتاريخية مع مراعاة الفروق النوعية الحضارية والتاريخية والاقتصادية».

# نحو نمط جديد للوحدة العربية (٢)

١٤ أغسطس ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

نحن الآن أمام واقع عالمي يتغير، وعلينا أن نعمل جاهدين، على الدخول فيه كصانع وليس كمتلقي.. نعمل على أن نكون في مرحلة الفعل وليس في مرحلة رد الفعل. وهذا ما أراه بالفعل باديا في الأفق.

إننا في عصر الدولة الوطنية المستقلة ذات السيادة. ويمكن أن تدخل مجموعة من الدول العربية الوطنية المستقلة، في رابطة مع بعضها البعض في وحدة جديدة تحافظ على استقلالها الاستراتيجي، وفي الوقت نفسه تندمج مع غيرها في أنماط مستحدثة، بناء على المناطق والمصالح المشتركة، ومن أهمها  كما قلت مرارا الوحدة الاقتصادية عبر آليات ومعايير تقوي من جميع أطراف الكتلة الواحدة في مواجهة التكتلات العالمية الأخرى.

إنها فرصة تاريخية أن تقوم الكتلة العربية العاقلة (الخليج + ٣)، بالاندماج الاقتصادي، على الأقل في الآليات والمعايير الاقتصادية، وعبر ملتقيات ومنصات ونظم رقمية عربية موحدة في العمل الاقتصادي والبنكي.

إن نجاح الكتلة العربية العاقلة (الخليج + ٣) في قمة جدة الأخيرة، في التنسيق القبلي والمتابعة واتخاذ مواقف مشتركة، يغري إغراء شديدا بالبناء عليها والذهاب إلى أنماط جديدة من التوحد والمشاركة في المواقف في التحديات الأخرى، ومن أهمها التحدي الاقتصادي.

ومن هنا تأتي أهمية الرؤية العربية للتحول للاقتصاد الرقمي التي شاركت جامعة القاهرة في إعدادها ومراجعتها مع جهات عربية ودولية مرموقة تحت مظلة جامعة الدول العربية. وفي الحقيقة هذه الرؤية البالغة الأهمية، بدأت في طبعتها الأولى بسؤال مهم، وقد لفت نظري هذا السؤال، خاصة أنني أنتمي إلى المدرسة البحثية التي ترى أن أية دراسة يجب أن تبدأ بإشكال أو سؤال؛ فالدراسات العلمية ليست عرضا وتكرارا للمادة العلمية على النحو السائد في الدراسات التقليدية التي تجتر الماضي اجترارا مثل اجترار الجمل، وكأن ثقافة النوق في الاجترار هي الثقافة المثالية الموروثة من الماضي! وهي الثقافة التي لا تزال تتبناها شخصيات تعيش في الماضي فخرا وتفاخرا تحت شعارات جوفاء تدغدغ المشاعر، لكنها لا تصنع حاضرا ولا تبني مستقبلا!

وفي المقابل يجب تدعيم المدرسة البحثية التي ترى أن أية دراسة يجب أن تكون إجابة جديدة على سؤال أو إشكال..

وكان السؤال الذي بدأت به الرؤية العربية للتحول للاقتصاد الرقمي هو:

لماذا نحتاج الاقتصاد الرقمي كحافز للنمو؟

الإجابة طرحتها تلك الرؤية، و»حسب ما تشير إليه الدراسات، فإن العائد من تبني الاقتصاد الرقمي لن يقف فقط عند معالجة التحديات ومشكلاتنا الملحة الحالية – مثل: استنزاف الاعتماد على الموارد الطبيعية، والبطالة، والكفاءة والفاعلية الحكومية، وإنشاء وظائف جديدة وغيرها – ولكنه سيساهم في تحسين القدرة على تحقيق أهداف التنمية المستدامة التي أقرتها الأمم المتحدة. كما أن التحول الجاد للاقتصاد الرقمي سيدفع بتسريع النمو الاقتصادي، وهو ما يعني إنشاء فرص عمل لأعداد الشباب المتنامي تعداده سنوياً، ورفع معدلات الإنتاج، وتحقيق الشفافية مع توفير مستويات مرتفعة من الأمن والخصوصية في الأنظمة والمعاملات. وهو ما يمكن معه بلورة رؤية لتحويل العالم العربي إلى اقتصاد مُمَكَن رقميا، تدفع المنطقة نحو مستقبل رقمي مستدام وشامل وآمن من أجل بناء مجتمع عربي مترابط ومبتكر»(ص ١٢-١٣).

وأكدت الرؤية العربية على أتمتة العمليات والإجراءات، مّما يعزز الكفاءة التشغيلية التي تتضمن تقليل تكاليف المعاملات، وتخفيض أعباء الموازنات بشكل عام؛ وهذا يؤثر بدوره إيجابيا على الإنتاجية. علاوة على إطلاق فرص جديدة لنمو وازدهار مجالات جديدة للمشروعات التجارية؛ وخلق وظائف جديدة وتشجيع نماذج ريادة الأعمال. وأيضا زيادة قدرة الحكومات على تقديم الخدمات العامة وتوفيرها للمواطنين بجودة أعلى وقدرة على الوصول للمواطن في كل مكان وعلى مدار الساعة، وهو ما يحسن مستوى التفاعل بين المواطنين وحكوماتهم. (ص ٢٩ وما بعدها).

لكن لابد -من وجهة نظري- من طرح سؤال آخر ضروري يتحتم أن نسأله لأنفسنا، وهو:

لماذا نحتاج الاقتصاد الرقمي كحافز لنمط جديد من الوحدة السياسية؟

لا أقصد هنا- كما قلت سابقا- التحدث عن الوحدة السياسية كشكل من أشكال الوحدة التي كانت ذائعة في عصورنا القديمة، ولكن أقصد الأشكال الجديدة من أنماط الوحدة التي طرحها العصر الحديث، مثل النمط الذي طرحه الاتحاد الأوروبي، أو النمط الذي طرحته الولايات المتحدة الأمريكية بين ولاياتها المختلفة، أو النمط الذي بدأ في الظهور مؤخرا بين بعض الدول الكبرى في الكتلة الشرقية.

وأنا هنا لا أتحدث عن المضمون، بل أتحدث عن الآليات والمعايير.. لأن المضمون سوف يدخلنا في الخلافات الأيديولوجية والمذهبية، بينما الآليات والمعايير سوف تركز على المساحات و المصالح المشتركة. وعلى سبيل المثال، علينا أن نلتقي حول آليات وسياسات اقتصادية مشتركة وفاعلة في عالم التجارة الإلكترونية E-COMMERCE المتسعة على مستوى الأفراد والمؤسسات والدول، والشمول المالي، ونظم التحصيل والدفع الإليكتروني الذكي، ومختلف أنواع الخدمات النقدية والمصرفية، علاوة على مشاركة الخدمات اللوجستية، وتتابع سلاسل الإمداد الإقليمية، والتوسع في الهوية الرقمية A DIGITAL IDENTITY المحددة لهوية الأفراد أو المؤسسات أو غيرها.

# نحو نمط جديد للوحدة العربية (٣)

٢١ أغسطس ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«من القواعد الفقهية المنطقية التي يتفق فيها النص مع العقل الواضح، تلك القاعدة الفقهية التي تنص على أنه: «ما لا يُدرك كله لا يُترك جله»، أي أنك إذا امتنع عليك، أو صعب، إنجاز أمر ما بشكل كامل، وتعذر عليك تحقيقه بكل مواصفاته المثالية؛ فعليك ألا تترك المحاولة لإنجاز أكبر قدر مستطاع منه.

وهي قاعدة تساعد على الإنجاز ومواصلة الفعل والاستمرار في النمو والتطور؛ خاصة أن الكمال أمر متعذر على الطبيعة البشرية. وإذا كان الفقهاء استخدموا هذه القاعدة في الأحكام الشرعية للمساعدة على تحقيق أكبر قدر من الخير والصواب، فإن خبراء التنمية البشرية يستخدمونها في عصرنا لمساعدة الأفراد على النجاح وتحقيق ذواتهم.

كما أن هذه القاعدة الرائعة تحكم طريقة العمل عند رواد الأعمال والمبتكرين في مجالات كثيرة. وعلى سبيل المثال، انظر في جهاز الهاتف المحمول الذي بين يديك، كيف وصل إلى هذه الدرجة من التقدم، مع أن بداياته كانت متعسرة وفقيرة القدرات جدا. وانا أتذكر المشهد الذي قدم فيه ستيف جوبز iPhone إلى العالم في سان فرانسيسكو عام ٢٠٠٧، فهل كان الآيفون بهذا القدر من التطور الذي نشهده الآن؟ طبعا لا.. وأتذكر قبل ذلك في التسعينيات من القرن الماضي حجم المعاناة مع windows، ثم أخذت في التطور درجة بعد أخرى. ولك أن تتخيل لو أن صانع جهاز الكمبيوتر لم يصنعه بحجة انتظاره للوصول إلى المواصفات القياسية، فلا شك أنها كانت سوف تكون خسارة فادحة للبشرية، ولما كان هذا الجهاز قد تطور على النحو الذي وصل له اليوم.

أعود إلى موضوعنا وهو البحث عن الوحدة العربية، فإذا كان تعذر أمامنا إيجاد وحدة عربية كاملة، فيمكن أن نبدأ بجزء محدود أو مجال واحد، وليكن هو الاقتصاد للأسباب التي تحدثت عنها في مقالات سابقة، وإذا كانت الوحدة العربية الاقتصادية الكاملة متعذرة، فلنبدأ ببعض جوانب من الاقتصاد في المناطق الميسورة التي يسهل أن نتفق فيها، وعلى أساس توحيد أكبر قدر ممكن من الآليات والمعايير، ثم لاحقا نبني عليها لتنمو المساحات المشتركة يوما بعد يوم.

وهنا أتذكر قاعدة فقهية أخرى تتمتع بمنطقية شديدة، تقول «الميسور لا يسقط بالمعسور». وهذه القاعدة، بالإضافة إلى القاعدة التي بدأنا الحديث بها، ترجمتان مباشرتان لبعض آيات القرآن المجيد: (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) ﴿البقرة: ٢٨٦﴾، (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ﴿التغابن: ١٦﴾، وهو المعنى الذي يتفق معه الحديث النبوي الصحيح المعنى والسند، «فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم...».

وأتصور أن الوحدة الاقتصادية العربية يمكن أن تبدأ أولا بالوحدة الاقتصادية الرقمية، على نحو محدود، ثم تتسع يوما بعد يوم. وفي سبيل تحقيق ذلك، استدعي بعض ما قلته في الأعوام السابقة، وهي مقترحات تضمن بعضها في» الرؤية العربية للاقتصاد الرقمي»، ولعل من أهمها الخطوات الآتية:

- العمل على تصميم خريطة استراتيجية للاستثمارات العربية في الدول العربية.
- إعادة صياغة السياسات العربية الاقتصادية في ظل المساحات المشتركة بينها، والاستفادة من تنوع الموارد في كل منها.
- العمل على تقارب خطط التحول الرقمي والتطور التكنولوجي في الدول العربية، والاستفادة المتبادلة من الخبرات الخاصة بكل دولة.
- العمل على تشكيل منصة إقليمية لتحليل البيانات واستخدامها في الممارسات الرقمية المختلفة، بهدف الحد من الاعتماد على المنصات والتطبيقات الإلكترونية الأجنبية.
- تطوير المنظومة التشريعية العربية في مجال الاقتصاد الرقمي، وإقامة حوار عربي حول توحيد التشريعات المتعلقة بهذا المجال لمواكبة التطورات الاقتصادية السريعة والتي تجاوزت التشريعات القائمة.
- تعزيز «الحوكمة الرقمية» للحفاظ على الأمن والشفافية، وإيجاد هيئة خاصة للقيام بهذه المهمة، فمن المهم أكثر من أي وقت مضى الشروع في مسار جديد للحوكمة الرقمية والبيانات.
- العمل على عقد اتفاقيات إقليمية تنظم قواعد استخدام البيانات بما يتسق مع التشريعات الوطنية العربية، ووضع اللوائح لتحديد الحقوق والواجبات بين منتجي التكنولوجيا الرقمية ومستهلكيها.
- التركيز في استراتيجياتنا الوطنية على خطط توطين التقنيات المتقدمة، ضمانا لتحقيق المكانة اللائقة لمجتمعاتنا العربية في الأسواق العالمية، وبما يعزز من شروط التبادل التجاري لصالح مجتمعاتنا، وبما يضمن تحقيق حصة مقبولة من المنتجات المعرفية في الأسواق العالمية، وذلك من خلال استهداف خلق وتعديل ونقل واستخدام التقنيات المتقدمة والمنتجات المعرفية المختلفة والسعي الدائم لتبني استراتيجيات داعمة للشركات الناشئة في مجال التكنولوجيا المتقدمة.
- وفي مجال الأمن السيبراني المعلوماتي، يجب أن تعمل الحكومات على إدارة أمن المعلومات، وحماية أنظمة التشغيل المختلفة، توفير سبل الأمن السيبراني لأنظمة العمل بها، وصناعة استراتيجيات وتشريعات تستهدف توفير الحماية لأنظمة المعلومات الخاصة، واستخدام البرامج الأمنية الدقيقة لاكتشاف ومواجهة الثغرات. وأبرز النماذج التي يمكن أن نتعلم منها: وكالة الاتحاد الأوروبي للأمن السيبراني، ووحدة الأمن السيبراني للاستجابة السريعة، والتي أطلقها الاتحاد الأوربي في عام ٢٠٢١ بهدف توفير أنظمة دفاع إلكتروني مشترك لدول الاتحاد الأوربي، علاوة على الأنظمة المتقدمة لتقويم التهديدات الإلكترونية المحتملة.
- ضرورة تطوير البلدان العربية للبنية التحتية التكنولوجية.
- إعادة تشكيل العمليات التنظيمية والمنتجات والخدمات باستخدام التكنولوجيا الرقمية الموحدة».

# الاقتصاد والإصلاح الديني (١)

٤ سبتمبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

« يمكن أن أقول لك: أخبرني ما طبيعة الأفكار التي تعلمها للناس؟ وسوف أخبرك كيف يتصرفون في الاقتصاد والإدارة والمجتمع والزراعة والتجارة وكل شيء.

إن دوائر ومنظومات المجتمع عبر التاريخ ليست جزرا منعزلة عن بعضها البعض، فلا يمكن فصل المنظومة الثقافية الفكرية عن منظومة الاقتصاد، ولا عن المنظومة الدينية الفكرية، ولا عن الخطاب الديني، ولا عن منظومة التعليم، ولا يمكن فصلها أيضا عن المنظومة الاجتماعية والطبقية، ولا عن المنظومة الصحية ولا عن المنظومة الإدارية... إلخ.

فكل هذه المنظومات أشبه بدوائر متقاطعة على طريقة « أشكال فن Venn diagram» التي درسناها في الرياضيات، والتي يتم استعمالها في بيان العمليات التي تحكم العلاقة بين الدوائر المختلفة، مثل التقاطع والاتحاد والإتمام والفرق ...إلخ.

وميزة «أشكال فن» أنها لفتت انتباهنا إلى العلاقات المتعددة بين المجموعات، لكن يعيبها أنها مجموعات مغلقة. وإذا كانت «أشكال فن» مغلقة، فإن دوائر ومنظومات المجتمع مفتوحة ومتفاعلة.. لكن تبقى «أشكال فن» نموذجا فكريا يبين أن فكرة الانفصال والانعزال بين الدوائر ليست هي العلاقة الوحيدة التي تحكم كل العمليات والعلاقات، بل هناك علاقات تقاطع واتحاد وإتمام ...إلخ.

وهذا ما نريد التأكيد عليه من كون دوائر المجتمع ليست منعزلة عن بعضها البعض. ومن هنا فإن عمليات الإصلاح لابد أن تطالها جميعا. ولا يمكن فصل عملية الإصلاح في مجال عن باقي عمليات الإصلاح في مجالات أخرى؛ فلا يمكن أن تصلح مجالا دون أن تصلح باقي المجالات في الوقت نفسه. ولا شك أن المصلحين على دراية بذلك، لكن المشكلة تكمن في الثقافة العامة التي تحكم تفكير الجماهير والعوام وأصحاب الثقافات الرجعية الذي يفكرون بطريقة الجزر المنعزلة.

ويمكن أن نشبه العلاقات بين دوائر المجتمع بمثل أكثر ديناميكية، وهو أن العلاقة بين دوائر الاقتصاد والدين والثقافة والاجتماع والتعليم والصحة والإدارة، هي علاقة الأواني المستطرقة، التي تتفاعل فيها السوائل وتتوازن عند المنسوب نفسه، في كل أجزاء تلك الأواني المتصلة، على الرغم من اختلاف تلك الأواني في حجمها وشكلها، نظرا لأنها منفتحة وموصولة ببعضها البعض. وأي ضغط على أي جزء يؤثر في بقية الأجزاء، حسب قانون بليز بسكال، الذي ينص على «أن السائل الموضوع في وعاء ينشر الضغط بالتساوي في كل الاتجاهات». وهذا القانون توصل إليه الفيلسوف الفرنسي بسكال في القرن السابع عشر الميلادي.

وفي تصوري أن هذا القانون المتعلق بالسوائل في الأواني المستطرقة، يحكم أيضا العلاقة بين جوانب ودوائر المجتمع على اختلافها.

فلا توجد دولة متقدمة ولديها أفكار عامة أو دينية رجعية، ولا توجد دولة متقدمة في الاقتصاد ومتخلفة في التعليم أو الصحة، ولا توجد دولة متقدمة في التعليم والصحة ومتخلفة في الاقتصاد، وهكذا بالنسبة لباقي الدوائر.

وعبر التاريخ نجد أن الإصلاح الذي يتعامل مع مكونات المجتمع بطريقة الجزر المنعزلة، لن يحقق أهدافه؛ فالمجتمع مثل الكائن الحي الذي تؤثر جميع أعضائه على بعضها البعض. وعلى سبيل المثال، فإن الإصلاح الاقتصادي مرتبط ارتباطا جذريا بالإصلاح الديني، لأن منظومة الأفكار والقيم الحاكمة للسلوك الاقتصادي هي نفسها منظومة الأفكار والقيم الحاكمة للمعتقد والسلوك الديني، والعكس صحيح.

وكثيرا ما وجدنا، في بعض مراحل التاريخ، أنه إذا كانت منظومة الأفكار الدينية خاطئة أو محرفة أو رجعية، فإنها سوف تنتج اقتصادا ضعيفا أو بطيئا أو غير منتج. والعكس صحيح أيضا؛ لأن من الملاحظ، في بعض تواريخ الدول والحضارات، أن الاقتصاد الريعي غير الإنتاجي ينتج منظومة معتقدات دينية تواكلية. والعكس صحيح أيضا. فتارة تجد الأفكار تولد النظام الاقتصادي المعبر عنها، وتارة تجد النظام الاقتصادي يكون المنظومة الفكرية، وفي أحيان ثالثة تجد العلاقة بينهما تفاعلية متبادلة. وقل مثل ذلك في كافة مكونات المجتمع.

والمنظومة الاقتصادية التي سيطرت على العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العباسية، كانت منظومة ريعية كاملة، بينما كانت قبل ذلك تجمع بين النظام الريعي وشيء من النظام الإنتاجي.

والاقتصاد الريعي إنما هو اقتصاد غير إنتاجي؛ حيث يعتمد على الغنيمة والموارد الطبيعية مثل المياه والمعادن والصيد، وفي العصر الحديث زاد البترول والغاز. ولا توجد بالنظام الريعي صناعات تحويلية أو نظام زراعي كبير ومنتج. ومجتمع الاقتصاد الريعي هو مجتمع استهلاكي يعتمد على التبادل التجاري للثروات الريعية دون أنظمة صناعية منتجة.

وإذا نظرت في تاريخ العالم الإسلامي، فسوف تجده في الغالب الأعم محكوم بمنظومة فكرية رجعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بنظام الاقتصاد الريعي غير الإنتاجي. ولا يغير من هذا الحكم أن بعض الدول القليلة تحولت الى الاقتصاد الإنتاجي جزئيا؛ لأن الحكم يسير على حسب الأغلب الأعم، وليس على حسب الأقل، كما يقول بعض علماء أصول الفقه.

وعلى هذا، فلابد من تغيير المنظومة الثقافية، وتأسيس خطاب ديني جديد، كجسر ضروري للتحول في ثقافة الناس من المنظومة الفكرية الرجعية والأسطورية والتواكلية إلى منظومة فكرية جديدة تؤسس للاقتصاد الإنتاجي».

# الاقتصاد والإصلاح الديني (٢)

١٨ سبتمبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

إن المدخلات الفكرية والعقائدية في عقول الناس، هي التي يتحدد بناء عليها سلوكهم القادم، وهي التي يتحدد بناء عليها أيضا نمط حياتهم الاجتماعي، ومدى إسهامهم الإبداعي في حركة الحياة، كما يتحدد نمط النظام الاقتصادي السائد، ومن ثم يتحدد نصيبهم من الرفاه الاجتماعي.

وسوف أقدم لك -عزيزي القارئ- تصورا يوضح العلاقة الضرورية بين المدخلات الفكرية العقائدية، والمخرجات السلوكية الناتجة عنه، وكيف ينتج هذا منظومة اقتصادية رجعية أو تنموية، مما يؤثر تأثيرا جوهريا في قوة الدول أو ضعفها. فالدول والأمم والحضارات هي محصلة نهائية لمتوالية فكرية عقائدية سلوكية اقتصادية مجتمعية.

ولنبدأ بالمتوالية الرجعية التحريفية المسيطرة في الغالب الأعم على أغلب قطاعات المجتمعات في العالم الثالث، على النحو التالي:

- المدخلات العقائدية:

إن الأفكار التقليدية السائدة في الخطاب الديني التقليدي تحكمها أفكار رجعية تفسد فهم الدين كما تفسد الاقتصاد، مثل:

- الاعتقاد بأن الإيمان وحده كاف لدخول الجنة، والفصل بين الإيمان والعمل.. وأن دخول الجنة غير متوقف على الأعمال الدنيوية.

- وفي حالات الفصل بين الإيمان والعمل، يتم تحديد معنى «العمل الصالح» على أنه (العبادات والطقوس وحدها)، والاعتقاد بأنها هي وحدها التي سوف تدخل الناس الجنة.

- الأعمال الدنيوية لا علاقة لها بإرضاء الله سبحانه، وما يرضيه هو فقط بعض الطقوس والترنيمات.

- إتقان أداء الطقوس وليس إتقان الأعمال الدنيوية هو الضامن للنجاح في الدنيا والآخرة.

- الاعتقاد بأن مستقبل الإنسان محدد على سبيل الجبر سلفا، نتيجة الأخذ بالأفكار الجبرية التي تتحدث عن عدم حرية الإرادة الإنسانية والتسليم المطلق بما يسميه الناس خطأ «المكتوب على الجبين» الذي لا يمكن تغييره بالأفعال والأخذ بالأسباب.

- انتظار الفرج أو انتظار أن تمطر السماء ذهبا.

- الاكتفاء بالدعاء وحده لتغيير الواقع وتحقيق الرخاء والنصر على الأعداء، والاعتقاد بأن تغيير العالم يكون بالدعاء والعبادة فقط دون تخطيط وعمل قائم على الأخذ بالأسباب.

- الاعتقاد بأن المسئولية كلها تقع على المجتمع وحده وليس على الفرد.

- تقليد الآباء والجماعات والمذاهب والتيارات السائدة في المجتمع، والفرد وحده مقيد بمنظومة مجتمعية لا يمكن الإبداع خارجها، ولا يجوز الخروج عليها.

- المخرجات السلوكية:

هذه المنظومة الفكرية العقائدية المسيطرة على قطاعات واسعة، تؤدي إلى:

- اتباع سلوكيات فاسدة؛ لأن الإيمان وحده يكفي.

- التركيز على العبادات فقط بوصفها وسيلة النجاة الوحيدة للناس، حتى وإن غشوا أو ارتشوا أو سرقوا أو كذبوا أو ظلموا أو أكلوا أموال الورثة في شرع الله.

- الإهمال في الأعمال الدنيوية؛ لأنها لا علاقة لها بإرضاء الله سبحانه.. فالله في تصورهم الفاسد يمكن تملقه ببعض الطقوس!

- التواكل بحجة الإيمان بالقدر الحتمي نتيجة فهم خاطئ لعقيدة القدر، والتسليم بواقع حياة كل فرد كما هي، وعدم محاولة تغيير هذا الواقع؛ بحجة أن كله مكتوب ومحدد سلفا.

- عدم بذل أي جهد من أجل الخلاص وتحقيق رفاهية الحياة؛ لأن الفرج سوف يأتي في أية لحظة دون السعي لتحقيقه.

- عدم اتباع وتطبيق قوانين الطبيعة المطردة التي خلقها الله.. ففي تصورهم أنها غير ثابتة وغير مطردة ويمكن خرقها.

- عدم تحمل المسئولية الفردية عن الأفعال.. حيث التبريرات التي لا نهاية لها.

- عدم الإيمان بالعمل الحر والمشروعات الفردية، والاعتماد على الوظائف الحكومية التي تضمن المرتب الشهري حتى دون أداء واجبات العمل، وعدم المبادرة الفردية خوفا من المجهول وخوفا من الخروج عن الثقافة الرجعية السابقة.

- المخرجات الاقتصادية:

تلك الأفكار الدينية الخاطئة وهذه السلوكيات المترتبة عليها، هي التي تحكم من أسف، الحركة الاقتصادية للمجتمع والأفراد، في كثير من دول العالم الثالث. وتشكل هذه الأفكار أيضا الأيديولوجية التي تحرك منظومة الفساد الإداري أيضا التي تعتمد على التراخي وإهمال العمل والاختلاس والرشاوي والعمولات والوسائط، وفي آخر العام يقوم هذا الفاسد بأداء الحج أو العمرة تكفيرا عن ذنوبه الماضية واللاحقة!

ولا شك عندي أيضا في أن تلك المنظومة الفكرية الدينية التحريفية، هي أحد أهم أسباب تراجع المشروعات الخاصة المنتجة القائمة على المبادرة الفردية.

وفي المقابل نجد الحرص على الوظائف الحكومية الإدارية وليست الصناعية أو الزراعية.

كما نجد أغلب المشروعات الخاصة مشروعات استهلاكية (مشروبات ومأكولات ومساكن)، وليست مشروعات منتجة.

والمحصلة الاقتصادية العامة الناتجة عن هذا في دول العالم الثالث، هي:

- اقتصاد ريعي

- اقتصاد غير منتج

- اقتصاد استهلاكي

- اقتصاد قائم على الاستيراد».

# الاقتصاد والإصلاح الديني (٣)

٢ أكتوبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«رأينا في المقال السابق كيف أن الأفكار التحريفية للخطاب الديني التقليدي، هي التي تحكم الحركة الاقتصادية الفاشلة في مجتمعات العالم الثالث، وهي التي تشكل منظومة التراخي وإهمال العمل وعدم الإنتاج. وقد قدمنا لك أيضا  عزيزي القارئ- تصورا يوضح العلاقة الضرورية بين المدخلات الفكرية العقائدية المحرفة، والمخرجات السلوكية الناتجة عنه، وكيف ينتج هذا منظومة اقتصادية ريعية رجعية.

وفي مقابل هذه المتوالية الرجعية، نتطلع إلى إحلال متوالية تقدمية عقلانية تنموية، تنطلق من خطاب ديني جديد إلى اقتصاد تنموي إنتاجي، ومن ثم ينشأ مجتمع جديد.

* المدخلات العقائدية:

إن الإصلاح الديني الجديد يطرح رؤية مختلفة للعالم، ويقدم منظومة قيم تقدمية مستخلصة من الكتاب الكريم والسنة المتواترة والعقلانية النقدية، بعيدا عن المنظومة الموروثة من عصور التراجع والتي لا تزال تعمل حتى الآن في كثير من دول العالم الثالث.

فلابد من تطهير المعتقدات، وتحريرها من اللامعقول، للوصول إلى مجموعة من المعتقدات الدينية الصحيحة التي تدعم العمل الحر والإنتاج والتنمية، مثل:

- الله يعمل في الطبيعة من خلال منظومة إبداعية من القوانين.. وقوانين الطبيعة هي قوانين الله.

- قوانين الطبيعة هي قوانين مطردة لا يمكن تعطيلها بالسحر أو بالكلمات أو بالطقوس.. سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

- يجب اتباع قوانين الطبيعة المطردة لتحقيق النمو والتقدم.

- التوكل يستلزم الأخذ بالأسباب وتطبيق قوانين الطبيعة التي أبدعها الله.

- الوصول إلى الفرج وتحقيق الرخاء لا يكون سوى بالأخذ بالأسباب واتباع قوانين الطبيعة وبذل الجهد.

- تغيير العالم يكون بالعلوم والأعمال وليس بالطقوس.

- مفهوم «العمل الصالح» يشمل العمل الإنتاجي مثل: الصناعة، والزراعة، والبناء...إلخ.

- الدعاء يرفعه «العمل الصالح» بالمفهوم الشامل الجامع للعمل الصالح الذي ينفع الناس.

- العلم والعمل الإنتاجي المتقن هما أساس التقدم، وهما الطريق نحو تأسيس الجنة الدنيوية، وهما أيضا السبيل لدخول الجنة الأبدية في الآخرة. وعلى ذلك فإن الإيمان وحده لا يكفي لدخول الجنة في الدنيا أو الآخرة، بل لابد أن يصاحبه «العمل المنضبط».. ومن هنا فإن دخول الجنة متوقف على الأعمال الدنيوية.

- (العبادات والطقوس) لا قيمة لها إذا لم تصلح سلوك الناس في الحياة اليومية.. والغش والرشوة والسرقة والكذب والظلم وأكل أموال الناس بالباطل، هي كبائر تدخل مرتكبيها النار في الدنيا والآخرة.

- الأعمال الدنيوية النافعة للفرد والمجتمع ترضي الله سبحانه، وهي عبادات حقيقية.

- إتقان الأعمال الدنيوية عبادة لها وزن مماثل لإتقان الطقوس والشعائر، وهما معا الضامن للنجاح في الدنيا والآخرة.

- الإيمان بحرية الإرادة الإنسانية.

- المسئولية فردية تقع على عاتق كل شخص (فرض عين).

- الإنسان هو الذي يصنع مستقبله، والوجود يسبق الماهية.

- عدم التقليد الأعمى للآباء والجماعات والتيارات السائدة.

وكل مبدأ من هذه المبادئ وغيرها، له أدلته وبراهينه من المنابع الصافية، وكل منها يمكن الكتابة عنه في موضوع منفصل، لكننا نتحدث هنا إجمالا في إطار الرؤية العامة وفي حدود ما تسمح به مقالة واحدة.

* المخرجات السلوكية:

تلك المنظومة العقائدية إذا تم إدخالها في عقول الناس من خلال عملية تغيير ثقافي، فسوف تؤدي إلى مجموعة من السلوكيات، مثل:

- أن يعمل الناس من خلال تطبيق قوانين الطبيعة التي خلقها الله، والأخذ بالأسباب الطبيعية، وبذل الجهد.

- أن ينبذ المجتمع الخرافات، والأساطير، والسحر، والشعوذة.

- أن يترك الناس سياسة تغيير الواقع والطبيعة بواسطة الكلمات.. فالله وحده هو الذي يخلق بالكلمة، أما البشر فلا سبيل أمامهم سوى العمل على الأرض.

- أن يدرك الناس أن التوكل يعني تطبيق قوانين الطبيعة التي خلقها الله، والأخذ بالأسباب، واتباع المنهج العقلاني، وترك الجوانب المجهولة أو العوامل التي تعمل خارج إرادتهم لله سبحانه (المخاطرة المحسوبة).

- أن يحقق المجتمع الرخاء بالأخذ بالأسباب واتباع قوانين الطبيعة وسنن التاريخ.

- العمل على تغيير العالم بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وليس بالطقوس.

- السير على درب العمل الإنتاجي في البناء والصناعة والزراعة ...إلخ.

- إتقان العمل وعدم الإهمال في الأعمال الدنيوية.

- السعي نحو تغيير الواقع وبذل الجهد من أجل الخلاص وتحقيق رفاهية الحياة.

- التقدم في البحث العلمي وتوظيفه في عملية التقدم وتحقيق قيمة مضافة للاقتصاد.

- اعتبار (العبادات والطقوس) وسائل لانضباط الشخصية، وبناء ضمير الإنسان، واستقامة السلوك، وليست وسائل لتملق الله تعالى ولا أساليب لرياء الناس.

- الصدق والأمانة في التجارة هما أساس بناء الثقة في المعاملات.

- نبذ الرشوة والسرقة والظلم وأكل أموال الناس بالباطل..

- نبذ أخلاقيات الغش التجاري والصناعي.

- التعامل مع الأعمال الدنيوية النافعة بوصفها عبادات حقيقية.

- ممارسة فعل الحرية.

- تحمل المسئولية الفردية.

- الإيمان بالعمل الحر، والمشروعات الفردية، وعدم الاعتماد على الوظائف الحكومية.

- فتح مجالات جديدة للعمل يقوم الفرد نفسه بفتحها أمام نفسه.

- شق طرق جديدة للإبداع بعيدا عن التقليد ونبذ روح القطيع.

- المبادرة الفردية، وعدم الخوف من المجهول، وشجاعة الخروج على الثقافة الرجعية السابقة.

والسؤال الآن: ما المخرجات الاقتصادية لتلك المدخلات العقائدية وهذه السلوكيات الناشئة عنها؟

أسأل الله الجليل أن تكون الإجابة في المقال القادم؟».

# الاقتصاد والإصلاح الديني (٤)

١٦ أكتوبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«كان السؤال في نهاية المقال السابق عن طبيعة «المخرجات الاقتصادية» الناشئة عن المدخلات العقائدية الصافية بعد أن تم تحريرها من العقائد التحريفية في التراث، والتي من المتوقع أن تنشأ عنها مجموعة من السلوكيات؟

وأذكر القارئ أن تلك المتوالية تقوم على ثلاث مراحل، هي: المدخلات العقائدية، المخرجات السلوكية، المخرجات الاقتصادية.

إن المتوالية التقدمية العقلانية التنموية التي نقترحها في الخطاب الديني الجديد، تتوقع أن تكون «المخرجات الاقتصادية» لتلك المدخلات العقائدية وهذه السلوكيات الناشئة عنها، هي «اقتصاد إنتاجي تنموي».

* محددات منهجية:

ولكن قبل أن نحدد معالم هذا الاقتصاد التنموي الجديد، لابد من توضيح أنه لابد من توافر عناصر أخرى مساندة حتى تتحقق هذه النتيجة، فليس هناك عامل واحد هو المحرك للتاريخ دوما، بل عوامل متعددة، وليست سب مساهمة هذه العوامل بالنسب ذاتها في كل المراحل التاريخية، بل المُركب المحرك للتاريخ تتغير نسب عناصره في مختلف مراحل التاريخ.

وأيضا نحن نرفض النظرية المادية التي قال بها ماركس وإنجلز في تحريك التاريخ كنظرية تنفي العناصر الفكرية وتعتبرها مجرد انعكاس للعوامل المادية. كما نرفض النظرية المثالية الفكرية التي قال بها هيجل والتي تعطي الأولوية المطلقة والأسبقية الدائمة للعناصر الفكرية وتستبعد العناصر المادية وتعدها انعكاسا للعناصر الفكرية المثالية.

ونرى في المقابل أن التاريخ تحركه عناصر متفاعلة على نحو ديالكتيكي بين العناصر المادية والفكرية، ولا شك أن الاقتصاد من أهمها لكنه ليس العنصر الوحيد. كما نرى أن أولوية تلك العناصر على بعضها تختلف باختلاف المراحل والعصور التاريخية، فتارة تكون الأولوية للعناصر المادية مع عدم نفي دور العناصر الفكرية، وتارة تكون الأولوية للعناصر الفكرية دون إنكار دور مؤثر للعناصر المادية معها، وتارة ثالثة تتحرك العناصر الفكرية مع العناصر المادية بشكل مصاحب وبالدرجة نفسها. وفي كل الأحوال فإن الفصل بين الجانب الفكري والمادي هو مجرد فصل نظري من وجهة نظرنا، فبوتقة التاريخ يحركها مركب متفاعل من كل العناصر الممزوجة معا في مركب واحد.

وبطبيعة الحال لا يمكن نفي دور التشكيلات الاجتماعية والنظام الطبقي، كما لا يمكن إنكار دور الأفكار العامة والمعتقدات الدينية وطبيعة رؤية العالم، وأيضا لا يمكن إنكار دور الصراع الاقتصادي على الثروات.. وعلاوة على ذلك، فإن الإرادة السياسية وقدرة وفاعلية النخب عامل حاضر في تحريك أو كبت أي من هذه العناصر.. فضلا عن مدى استعداد الشعوب وقابليتها لعملية التحول والتجاوب معها.

وفي كل الأحوال، فإن دور الأفكار وطبيعة رؤية العالم هي «العامل الغائب» في تحليل قصة فشل مجتمعات العالم الثالث في إحداث نهضة اقتصادية تنموية. وعلى سبيل المثال فإن حركة التصنيع القوية في عصر عبد الناصر لم يكتب لها الاستدامة، لأسباب كثيرة، من أهمها أن المنظومة الفكرية والدينية التقليدية هي التي ظلت تحرك الناس دون أي تغيير ثقافي في عقولهم، وكانت منظومة التصنيع محكومة بالخطاب الديني التقليدي المرتبط بأفكار الاقتصاد الريعي القديم.. وهذا يؤكد وجهة نظرنا في ضرورة تأسيس خطاب ديني جديد، والانتقال إلى منظومة فكرية قيمية جديدة، كشرط للانتقال إلى إحلال نظام اقتصاد جديد.

 المخرجات الاقتصادية:

وبعد هذه المحددات المنهجية الضرورية، يمكن أن نعود الآن للإجابة على سؤال:

ما المخرجات الاقتصادية لتلك المدخلات العقائدية النقية، وهذه السلوكيات التقدمية الناشئة عنها؟

سبق أن تناولت تلك المخرجات في مشروعنا بجامعة القاهرة عن دور الإصلاح الديني في عملية التنمية الاقتصادية عام ٢٠١٦، كما تناولناها لاحقا في العديد من المنتديات والمحاضرات العامة والخاصة.

حيث أكدنا على أن الفكر الديني الجديد ينتج نمطا جديدا من الاقتصاد، والنمط الجديد من الاقتصاد ينتج نمطا جديدا من الحياة، فالعلاقة سببية بين الإصلاح الديني والتنمية الاقتصادية ونمط الحياة.

والمحصلة العامة المتوقعة في المتوالية التقدمية العقلانية التنموية، متعددة وواسعة النطاق، ويمكن أن نذكر منها:

- تحجيم الاقتصاد الريعي.
- التحول إلى الاقتصاد الإنتاجي.
- ازدياد حركة التصنيع.
- ازدياد الإنتاج الزراعي، وإعطاء قيمة مضافة للمحاصيل الزراعية عن طريق الصناعات التحويلية للمنتج الزراعي.
- سوف ينتج التصنيع نمطا جديدا من القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج الاجتماعية.
- سوف تحكم أخلاق التقدم والعلاقات النظامية العلاقات بين أفراد المجتمع.
- سوف تتغير طريقة تعامل الناس مع بعضهم البعض اجتماعيا، وتسود علاقات العمل التعاوني، وتزداد أشكال الترابط بين الناس، وتتحول العلاقة بين الطبقات من العلاقة الصراعية أو الإذعانية أو القهرية، إلى علاقات تنافسية على أساس من معايير بذل الجهد والتعلم والإنتاج والإجادة.
- سوف تختلف طريقة تعامل الناس مع العالم المادي.. وتتحول من انتظار كرم الطبيعة إلى السيطرة على الطبيعة.
- سوف يدرك الناس أنهم يستهلكون من أجل البقاء، ولكنهم سوف يدركون أيضا أنهم من أجل الاستهلاك عليهم أن يقوموا بالإنتاج.
- سوف يتغير نمط الإنتاج، ومن ثم تتغير طبيعة نمط التوزيع وأسلوب التداول وأسلوب الاستهلاك.
- سوف يجد المجتمع كفايته الذاتية من إنتاجه المحلي، ويقل اعتماده على الاستيراد، وتزداد معدلات التصدير.
- وبالتالي يقل التضخم.

وللحديث بقية إن شاء السميع العليم».

# الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد(١)

٣٠ أكتوبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

إن مسألة تأسيس خطاب ديني جديد ليس هدفها الوحيد هو مكافحة العقل المغلق والتطرف والإرهاب، بل هي مطلب ضروري لتأسيس حالة حضارية جديدة، ومن أهم معالم هذه الحالة الحضارة الجديدة التحول إلى الاقتصاد الإنتاجي.. لا لتحقيق الاكتفاء الذاتي ودولة الرفاه الاجتماعي فحسب، بل أيضا لتخفيف ضغوط الإمبريالية العالمية والتخلص منها.

إن تأسيس خطاب ديني جديد شرط ضروري لإحداث تلك النقلة.. وحتى نعرف أن الخطاب الديني التقليدي نظام مرتبط بنمط اقتصادي قديم لابد من تجاوزه، وحتى تتضح الرؤية أكثر أمام القارئ الكريم في الفرق بين الخطاب الديني القديم والخطاب الديني الجديد، فسوف نعقد مقارنة بينهما من زاوية الفرق بين نمط الاقتصاد الريعي ونمط الاقتصاد الإنتاجي.

إن التحول من نمط الاقتصاد الريعي إلى نمط الاقتصاد الإنتاجي، يستلزم أولا التحول من الخطاب الديني القديم إلى الخطاب الديني الجديد كما أكدنا مرارا وتكرارا.. ولعل هذا الأمر يصبح أكثر وضوحا في المقارنة التالية.

فإذا كان الناس في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي يعتمدون على ما تجود به الطبيعة من موارد دون أية عمليات في الصناعات التحويلية.. فإن الناس في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، يعتمدون على الدور البشري في التصنيع، والتدخل العلمي في الزراعة، وإعطاء قيمة مضافة للمحاصيل الزراعية ولمعادن والمواد المستخرجة من خلال عمليات الصناعات التحويلية.

وينتظر الإنسان المستقبل في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، بينما في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، نجد أن الإنسان يصنع المستقبل.

ولا شك أن الاعتقاد في عدم حرية الإرادة الإنسانية، وجبرية الأفعال البشرية، وأن مستقبل الإنسان محدد سلفا دون أية إمكانية لتغييره، هي معتقدات تميز أغلب تيارات الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي.. بينما نجد أن الإيمان بحرية الإرادة، وعدم خضوع الإنسان لنظام جبري محكوم بحتمية مثل حتمية الظواهر الطبيعية، وأن الإنسان لديه القدرة نسبيا على صناعة مصيره، وأنه يمكنه تغيير هذا المصير وتحويله للأفضل، كلها سمات أصيلة في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي.

ويجلس الناس، في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، منتظرين الفرج الإلهي.. بينما نجدهم يعملون على جلب الفرج الإلهي بالتخطيط والعمل وبذل الجهد في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي.

وفي الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، يستدعى الناس النعمة والرفاهية وأن تمطر السماء عليهم ذهبا بالكلمات والطقوس، في حين يسعون إليها بالعلم والعمل الدنيوي المتقن في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي.

ونجد في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، أن الإيمان عند الناس بأن الأرزاق بيد الله، يعني أنه لا أهمية للتخطيط وبذل الجهد. بينما في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، يعتقدون أن الأرزاق بيد الله أيضا، لكن بمعنى مختلف؛ فالأرزاق بيد الله.. أي طبقا لقوانين الله بوصفها قوانين الطبيعة التي تتطلب العلم والجهد للسيطرة على الطبيعة.

وفي الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، يكون تغيير العالم عن طريق الدعاء والعبادة. بينما في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، نجد أن تغيير العالم يكون بواسطة العمل (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ).. فلا تأثير للكلام بدون العمل.

وفي الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، نلاحظ أن الأعمال الدنيوية أقل أهمية من الأعمال التعبدية. بينما في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، فإن الأعمال الدنيوية ذات أهمية جوهرية ومفصلية، وإحدى غايات الأعمال التعبدية هي استقامة ودقة وإتقان الأعمال الدنيوية.

كما نجد في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، أن الأعمال الدنيوية لا علاقة لها بإرضاء الله سبحانه وتعالى، وما يرضيه هو فقط هو الطقوس والعبادات، وأن إتقان العبادة وليس إتقان الأعمال الدنيوية هو الضامن للنجاح في الدنيا والآخرة. بينما في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، فإن الأعمال الدنيوية المتقنة والنافعة والإبداع والابتكار والصناعة والزراعة ، كلها أعمال ترضي الله، وهي السبيل للنجاح في الدنيا والخلاص في الآخرة.

ويسيطر على الناس في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، الاعتقاد بأن الإيمان وحده كاف لدخول الجنة، خاصة مع الفصل بين الإيمان والعمل، والظن بأن دخول الجنة غير متوقف على الأعمال الدنيوية. أما في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، فإن الإيمان وحده لا يكفي؛ إذ لابد من العلم الدقيق والعمل الجاد المتقن، ودخول الجنة مرتبط جوهريا بالأعمال الدنيوية والمساهمة في عمران الأرض بالمعنى الواسع للعمران سواء كان علميا أو بحثيا أو اجتماعيا أو اقتصادية أو زراعيا ...إلخ.

ولا يزال للفروق بين الخطابين الدينين وبين النظامين الاقتصادين، بقية إن شاء العلي القدير».

# الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٢)

١٣ نوفمبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«يسيطر على الناس في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الريعي، الاعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة عن الله والكون والإنسان، والاعتقاد بامتلاك الأسرار، وأن الأسرار منحة إلهية مجردة دون بذل أي جهد أو بحث أو تعلم. ومن هنا فلا محاولة للوصول إلى أي جديد، ولا بحث في الأرض ولا في الاجتماع، ولا جد في الارتقاء بالمعارف، ولا اجتهاد في معرفة أساليب وتقنيات جديدة.

فكل شيء موجود في بطون كتب التراث، وكل شي سبق إليه الأولون، وكل شيء يعرفه المشايخ! ومعرفة السر منحة سماوية خالصة علينا انتظارها.. وكما ننتظر في النظام الاقتصادي الريعي مطر السماء، ننتظر في الخطاب الديني القديم مطر المعارف والعلوم الممنوح من السماء أو من ملاك الحقيقة المطلقة.. فالماء منحة والعلم منحة.. وأساطير الأولين تؤكد ذلك!! ومن ثم فنمط الحياة يجب أن يعود وفق سابق الزمان الذي كان يسير على نمط اقتصاد المنح والريع والغنيمة. فلا جديد من حقائق ولا جديد من منتجات وإنتاج. فالحقائق هي ما تجود بها بطون الكتب القديمة، والرزق هو ما تجود به السماء، والأملاك تأتي غالبا عن طريق الغنيمة والغزو.

أما في الخطاب الديني الجديد الموازي للنظام الإنتاجي، فلا يوجد أحد يملك الحقيقة المطلقة، ولا يوجد أحد يملك العلم الشامل، بل الحقيقة تتكون وتتشكل عبر الأزمنة، والعلم ينمو يوما بعد يوم؛ سواء فيما يتعلق بفهم الدين أو فيما يتعلق بالكون والطبيعة: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) (العنكبوت: ٢٠)، (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) (فصلت :٥٣).. فالحقائق تتكشف في المستقبل، ولابد من البحث المستمر عنها، والمستقبل مفتوح لا ينتهي، والحقائق والأسرار لم يتم تبينها كاملة في الماضي، بل تتبين باستمرار (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لكم) (فصلت :٥٣) بصيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار..

وفي الخطاب الديني الجديد، عود لفهم النص الأصلي بعيدا عن التحريفية التفسيرية التي غرقت في الأساطير والإسرائيليات. وفي هذا النص الأصلي نجد أن الحقائق والأسرار تشمل أيضا ما يتعلق بوسائل الإنتاج وتقنيات الصناعة: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) (الأنبياء: ٨٠).. إنه داود آتاه الله الحكم والعلم، ولا يوجد حكم رشيد بدون علم، والعلم ليس علم الدين فحسب، بل علم الدنيا أيضا.. والصناعة علم، وفضل يمتن الله به على من جد واجتهد وسعى وبحث وأخذ بأسباب العلم.. في الماضي كانت: (صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ)، وفي المستقبل تتسع لتشمل ألوانا لا حصر لها من الصناعات المفيدة. والمقياس هو فائدة الناس، كما ظهر في لام التعليل (لِتُحْصِنَكُمْ).. أي من أجل تحصينكم ... لاحظ هنا أن مفهوم الصناعة وأسبابها وأغراضها يعدها القرآن قيمة كبرى، وهذه القيمة تستمد أهميتها من تحقيق النفع للناس.

كما كان لداود علم مادة الحديد: (وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سبأ: ١٠-١١)؛ حيث عرف داود قوانين الحديد واستثمرها بتقدير دقيق ومقادير منضبطة في الصناعات التي يحتاجها زمانه.. لكن للحديد قوانين أخرى يمكن أن تكتشف في المستقبل، وتحتاجها صناعات متجددة بتجدد الأزمان واختلاف احتياجات البشر.

والريح كانت سرا في عصر سليمان، لكن سليمان تعلمه: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)، بينما هي الآن علم تتكشف قوانينه يوما بعد يوم، ويتم توظيفها في تطبيقات شتى تنفع البشرية وفق نظام اقتصادي إنتاجي ينمو باستمرار وتتنافس فيه الأمم التي تأخذ بأسباب العلوم. وفي عصرنا حيث تشتد أزمة الطاقة، تصبح الرياح مجالا للاستثمارات الكبرى كطاقة متجددة تنتج الطاقة الكهربائية النظيفة بوصفها من أنواع الطاقة الكهروميكانيكية. وللرياح أيضا مجالات عديدة أخرى للاستخدام.. ويمكن للعلم أن يحسن توظيفها في النقل وفي بناء السُحب الماطرة...إلخ. وما منحه الله لسليمان، يمكن أن يمنحه وأكثر لمن يأخذ بأسباب البحث العلمي ويجتهد في تطبيقاته على مجالات تنفع البشرية.

(وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) (سبأ: ١٢)، أي النحاس بوصفه عنصرا مهما في بعض الصناعات في الماضي والحاضر وفي المستقبل.

إن المواد الخام لا تُترك كما هي، بل تستخدم في الصناعة لفائدة البشر.. والمواد الخام تظل خاما في شكلها المبدئي مع العقل الخام، لكنها تتحول لصناعات مفيدة مع العقل المبدع والمنتج..

إن «الجن» الذي كان يفعل الصعب مع سليمان، (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ: ١٢-١٣)، أصبح الآن هو «العلم» الذي تعرف به البشرية سر الطبيعة وتستطيع توظيفها لتحقيق الصعاب، فالأمة التي تملك العلوم النظرية والتطبيقية هي التي تملك «الجن الحقيقي»، وهي التي يمكنها توظيف العلوم في فهم الطبيعة والإنتاج وتحسين أسباب الحياة. وهي التي تحوز مصباح علاء الدين الذي تتحدث عنه الأساطير.. لكنه معها يصبح مصباح العلم.

وهنا يتبين أن الخطاب الديني الجديد ما هو سوى فهم للمنابع الصافية وفق العقل النقدي، وأن الخطاب الديني القديم ما هو إلا تحريفية في فهم النص الخام».

# الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٣)

٢٧ نوفمبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«يسيطر على الناس في الخطاب الديني القديم الموازي للنظام الاقتصادي الريعي، مفهوم غير دقيق حول معنى «العمل الصالح»؛ حيث يعني العمل الصالح (العبادات الطقوسية والإخلاص فيها).. وباستعراض بعض التفاسير المرجعية في التراث، نجد هذا هو المعنى الغالب والأكثر شيوعا، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره البغوي في تفسيره: «وقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ذِكْرُ اللَّه، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ أَدَاءُ فَرَائِضِه، فَمَنْ ذَكَرَ اللَّه وَلَمْ يُؤَدِّ فَرَائِضَهُ، رُدَّ كَلَامُهُ عَلَى عَمَلِه»، (انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، طبعة طيبة ٦/ ٤١٥).

وذكر الطبري في تفسيره عن: «ابن عباس قوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)، قال: «الكلام الطيب: ذكر الله، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله، ولم يؤد فرائضه، رد كلامه على عمله فكان أولى به»، (تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاكر، ٢٠/ ٤٤٥).

وهو ما ذهب إليه الثعلبي في تفسيره، قال: «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ: أداء فرائضه»، (تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٨/ ١٠١).

وذهب إليه أيضا الواحدي، قال: «والعمل الصَّالح: أداء فرائضه، فمن كان حسناً وعمل صالحاً، رفعه العمل»، (الوجيز للواحدي، ص: ٨٩٠).

وهناك تفسير آخر للعمل الصالح يدور حول الإخلاص في العبادة، ذكره بعض المفسرين مثل الطبري عند تفسير الآية الكريمة: (فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (الكهف، ١١٠). يقول: «فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته (فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا)، يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية»، (تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر، ١٨/ ١٣٥).

وأورد الثعلبي» وقيل: العمل الصالح هو الخالص، يعني أنّ الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأعمال، دليله قوله: (فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً)، أي خالصا، ثم قال: (وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء»، (تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٨/ ١٠٢).

وهناك تفسيرات أخرى، لا تجد من بينها من يذكر في تفسير هذه الآيات الكريمة، أن العمل الصالح يتسع للأعمال الدنيوية المفيدة أو الإبداعية أو الابتكارية أو الصناعية أو الزراعية أو الإنتاجية بشكل عام.

وغني عن البيان أن نقد اقتصار مفهوم العمل الصالح على العبادات الطقوسية والإخلاص فيها، ليس معناه التقليل من شأن العبادات، فهي من أركان الدين وثوابته، بل المقصود بالنقد هو نقد فهم البعض الذين يضيقون مفهوم العمل الصالح ويقصرونه على العبادات الطقوسية والإخلاص فيها فقط؛ فمفهوم العمل الصالح يتسع لأعمال كثيرة بالإضافة إلى تلك العبادات الطقوسية. كما أن مفهوم « الكلم الطيب» يتسع لمعان أكثر من الذكر والدعاء.

وما تلك التفسيرات التي تحصر مفهوم «العمل الصالح» في العبادات الطقوسية والإخلاص فيها فقط، سوى انعكاس للاقتصاد الريعي القائم على الانتظار والتواكل وهبة السماء وما تجود به الطبيعة من جهة، وعمليات التداول والتجارة من جهة ثانية، والغنيمة والفيء من جهة ثالثة. ولم يكن الاقتصاد الإنتاجي بما فيه من تصنيع وقيمة مضافة ذا حضور في الثقافة الحاكمة للناس في فهمهم للدين. ولذا تجدهم يسقطون أفكارهم وثقافة زمانهم على النصوص الدينية.

ولا ينقض هذا الحكم العام استثناءات وحالات محدودة تعي أهمية العمل الدنيوي الإنتاجي، فنحن نتحدث عن الاقتصاد الكلي المسيطر على المناخ العام والناتج المحلي الإجمالي والبنية الثقافية المسيطرة.

ولا شك أنه كانت توجد صناعات محدودة في القرون التي ظهرت فيها تلك التفاسير، لكنها لا تشكل رقما ونسبة يمكن أن نخرج بها عن الحكم العام بأن الاقتصاد المسيطر هو الاقتصاد الريعي.

ومن أسف فإن هذا الحكم الذي ينطبق على القرون الماضية لا يزال ساريا على كل الاقتصاديات الريعية الحالية المسيطر عليها الخطاب الديني التقليدي الذي ينتظر الحل دوما من الأعلى أو من الخارج، ولا تعمل فيه الناس وفق نظام إنتاجي تصنيعي زراعي، لأنهم ينتظرون الحل دوما من السماء أو من المخلص، ووسيلتهم في ذلك هي العبادة الطقوسية وحدها. ولذا تجد النسبة الأعلى للاستيراد في اقتصادياتهم، وتجد دوما أن الميزان التجاري الذي يحدد الفرق بين مجموع قيمة الصادرات ومجموع قيمة الواردات، تكون فيه الواردات أكبر من الصادرات.

ويبقى السؤال: إذا كان مفهوم «العمل الصالح» مفهوما ضيقا في التفاسير التي شرحت معناه في القديم وفهمت النص الكريم فهما محدودا في ضوء ثقافة عصرها وسياقه الاقتصادي الريعي، فهل النص الكريم تتسع ألفاظه ومقاصده لمعنى أشمل يتسع فيه مفهوم «العمل الصالح» في سياق ثقافة عصرنا وسياق الاقتصاد الإنتاجي؟ نسأل القدير أن تكون الإجابة في المقال القادم».

# الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٤)

١١ ديسمبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«كان السؤال في آخر المقال السابق: إذا كان مفهوم «العمل الصالح» مفهوما ضيقا في التفاسير التي شرحت معناه في القديم وفهمت النص الكريم فهما محدودا في ضوء ثقافة عصرها وسياقه الاقتصادي الريعي، فهل النص الكريم تتسع ألفاظه ومقاصده لمعنى أشمل يتسع فيه مفهوم «العمل الصالح» في سياق ثقافة عصرنا وسياق الاقتصاد الإنتاجي؟

في الخطاب الديني للإسلام المنسي والمتوافق مع الكتاب الكريم والموازي للنظام الإنتاجي، نجد أن مفهوم العبادة نفسه لا يقتصر على العبادات الطقوسية وحدها، فأي عمل  أيا كان نوعه- إذا كانت النية خالصة فيه لله، أي لتحقيق الخير وعمران الأرض و»إعطاء قيمة مضافة» والتقدم وازدهار الحياة واستقامتها، فإن هذه النية تحوله إلى عبادة تُرفع إلى السماء. أكرر مرة أخرى.. إن مفهوم العمل الصالح لا يُختزل فحسب في العبادات الطقوسية، بل يشمل كذلك الأعمال العلمية والصناعية والمهنية وأي عمل يتضمن «إعطاء قيمة مضافة»...إلخ؛ حيث يعني «العمل الصالح» أي عمل دنيوي نافع للبشرية، من أول إماطة الأذى عن الطريق، مرورا بأعمال المهنة أيا كانت، وحتى الإبداع في العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية والاجتماعية.

ويدخل في العمل الصالح تحصيل العلوم المختلفة مثل الهندسة والطب والفلسفة والذكاء الاصطناعي وعلوم النانو، كما تشمل الأعمال الصالحة البحث العلمي، بل البحث العلمي هو من أعلى مدارج الأعمال الصالحة، وأعلى درج فيها هو تطبيق البحث العلمي، وتحويله الي ثمار تحسن حياة الناس. وهو من أعلى تلك المدارج إذا اقترن بالإخلاص لله وتحقيق مقاصده في الطبيعة والمجتمع، ولم يكن من أجل الشر والعدوان.

وهنا يمكن استدعاء تجربة ذي القرنين الذي امتدحه القران لتوظيفه معارف عصره في تحقيق الأمن والاستقرار ومواجهة الشر، وتنفيذ عنصر مهم من عناصر الاقتصاد الإنتاجي، وهو «إعطاء قيمة مضافة للموارد الطبيعية»، من خلال العلوم والجهد البشري المنظم، أي استخدام الصناعة في تحويل مادة خام إلى منتج مفيد. ومادة خام مثل الحديد يمكن إضفاء» قيمة مضافة» عليها فتتحول إلى سيارة أو طائرة أو حاسوب أو ماكينات تصنيع لمنتجات مفيدة ذات قيمة أكبر من بقائها كمادة خام.

وطبعا في عصر ذي القرنين لم تكن الصناعة على النحو الموجود في عصورنا ابتداء من عصر التصنيع الحديث وحتى الثورة الصناعية الخامسة.. لكن فكرة إضفاء «قيمة مضافة» على المادة الخام هي فكرة امتدحها القرآن الكريم، وميزت ذي القرنين عن أولئك القوم الذين لا يفقهون قولا ولا يستطيعون مقاومة الشر والفساد، ولا يستطيعون بناء سد لحماية أنفسهم؛ فكل ما يملكونه هو اقتصاد ريعي خالص لا يقدم إلا خرجا.. (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤))، الكهف: ٩٣، ٩٤.

لكن في الجهة الأخرى لأولئك القوم، يقف ذو القرنين صاحب المعارف العلمية والمنهج العلمي السببي: (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)، الكهف: ٨٤، ٨٥. ويستطيع لهذا أن يضفي «قيمة مضافة» على المواد الخام ويحولها إلى منتج نافع هو السد: (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) )، الكهف: ٩٥ - ٩٧.

والمعنى: « أي جيئوني بقطع الحديد، فلما جاءوه بها أخذ يبنى شيئا فشيئا حتى إذا جعل ما بين جانبي الجبلين من البنيان مساويا لهما في العلو، قال للعملة: انفخوا بالكيران في زبر الحديد التي وضعت بين الصدفين ففعلوا، ومازالوا كذلك حتى صارت كالنار اشتعالا وتوهجا، فصب النحاس المذاب على الحديد المحمي فالتصق بعضه ببعض، وسدّ الفجوات التي بين الحديد وصار جبلا صلدا. (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)، أي إن يأجوج ومأجوج ما قدروا أن يصعدوا من فوق السد لارتفاعه وملاسته، ولا استطاعوا نقبه لصلابته وثخانته»، (تفسير المراغي، ١٦/ ١٩).

ومرة أخرى ذو القرنين لم يكن وحده بل كان معه علماء وصناع يجيدون توظيف الحديد. يقول ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير): «إنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء»، وهنا دور العلم ودور العلماء ودور رجال الإدارة في عصرنا من أجل «صناعة متقنة في الحديد والبناء»، سواء من أجل التنمية ومن أجل مكافحة الإرهاب. (انظر كتابنا: نحو تأسيس عصر ديني جديد».

وقد عد القرآن هذا العمل الدنيوي ليس مجرد عمل صالح عادي، وإنما عده عملا صالحا كبيرا امتدح عليه ذا القرنين، بل عده عملا صالحا استثنائيا في ضوء مقاييس ذلك العصر القديم لمعنى «القيمة المضافة».

وللحديث بقية إن شاء رب العالمين..».

# الاقتصاد بين الخطاب الديني القديم والجديد (٥)

٢٥ ديسمبر ٢٠٢٢ بجريدة الأهرام

د. محمد الخشت

«لا تزال قصة ذي القرنين قصة ملهمة، سواء في مجالات الأعمال الدنيوية، أو في مجالات التوحيد الخالص لرب العالمين. وعلى الرغم من أننا سبق أن استلهمنا منها دروسا عديدة في كتابنا «نحو تأسيس عصر ديني جديد» في الحكم وفي السياسة، وفي التنمية وأنماط الحياة، وفي مواجهة الظلم والإرهاب، فإننا عندما قررنا الكتابة عن الاقتصاد الريعي والاقتصاد الإنتاجي في نطاق المقارنة بين الخطاب الديني البشري القديم والخطاب الديني البشري الجديد، وجدنا قصة ذي القرنين تطل من جديد لتكون ملهمة أيضا في هذا السياق؛ مما يبين للقارئ أن الخطاب الديني الجديد ليس جديدا مبتدعا ولا زندقة جديدة، بل هو استعادة لروح الإسلام المنسي في ضوء فهم مقاصدي حديث لنصوص الوحي، وتفسير الكتاب بالكتاب، وليس طبقا لثقافة رعوية وريعية قديمة.

ولا شك أن الإسلام المنسي المتطابق مع الوحي الكريم، قد عانى من التيه قرونا طويلة في صحراء الكتب الصفراء، وتفرقت قضاياه وتشتت وتناثرت بين كثير من كتب التراث في غياهب غابة الأفكار الميتة التي سيطرت على عقول كثير من التراثيين الحرفيين. وليس هذا ذما للتراث كله دون تميز، بل نقدا للعناصر الميتة فيه، ومحاولة لاستعادة العناصر الحية ضمن منظومة جديدة في مجملها وليس في تفاصيلها، ومحاولة لفتح طريق ومسار جديد أمام العقل المفتوح المتواري في التراث، في مواجهة العقل المغلق المتغلب على التراث بعد عصور الازدهار الأولى.

وفي كل الأحوال فإن التجديد ليس خلقا من عدم، والقطيعة الإبستمولوجية (المعرفية) هي قطيعة مع العناصر الميتة والأسطورية والأفكار المتزامنة مع ظروف اقتصادية واجتماعية خاصة ومؤقتة، وليست قطيعة مع العناصر الحية في التراث.

ومن المعلوم أن كل شجرة جديدة تأتي من بذور سابقة، والأشجار القديمة تموت بحكم الزمن، ولا يُعقل أن نكتفي بأشجارنا القديمة، بل علينا أن نزرع أشجارا جديدة.

وتعد قصة ذي القرنين نموذجا على ما نقول، ففي الوقت الذي فسرها البعض في ضوء أساطير القدماء، وعلى أساس المرويات الإسرائيلية، نعيد نحن النظر فيها لاستلهامها للسير قدما في نطاق «الاقتصاد الصناعي الإنتاجي» الذي يعمل على إعطاء «قيمة مضافة» للموارد الطبيعية.. وفي الوقت الذي ركز فيه البعض على الجانب التوحيدي فيها، فنحن نرى أن هذا الجانب التوحيدي لن يكتمل إلا ببيان أهمية «القيمة المضافة» لحياة البشر، وتحقيق مفهوم «القوة» سواء في نطاق مكافحة الظلم والإرهاب أو في نطاق بناء «اقتصاد صناعي إنتاجي» قوي.. فلا تمكين في الأرض لتحقيق التنمية والإنصاف، دون «قوة» تحقق هذا التمكين، ولا قوة تحقق هذا التمكين دون «اقتصاد صناعي إنتاجي» يتأسس على مفهوم «القيمة المضافة» للموارد الطبيعية من أجل البشرية كلها.. (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي... (٩٨))، الكهف: ٨٤.

هذا مدح إلهي واضح لعمل دنيوي غير منفصل عن تمكين فكرة التوحيد الخالص، وغير منفصل عن مكافحة الظلم والإرهاب، وغير منفصل عن تحقيق فكرة السلام والأمن والإنصاف للجميع.

ولا شك أن هذا المدح الإلهي لبناء السد بطرق صناعية تعتمد على فكرة « القيمة المضافة»، وعد القرآن الكريم له كرحمة إلهية: (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي)، يعني- فيما يعني- أن هذه الأعمال الدنيوية رحمة ربانية، وطالما هي رحمة ربانية تحققت نتيجة عمل بشري، إذن فهي عمل صالح تم رفعه إلى السماء، وعمل صالح تم رفعه في التاريخ، وعمل صالح تم رفعه في الكتاب الكريم في سورة نسيج وحدها، هي سورة الكهف التي حلقت عبر تاريخ الإنسانية لتأخذ نماذج مختلفة من الأعمال الصالحة، تم تتويجها في أخر تلك السورة الكريمة بما فعله ذو القرنين من أعمال نفعت مجتمعه وأفادت المجتمعات الأخرى، ولم تنفصل في مشروعه رسالة السماء عن رسالة الأرض.

وتأسيسا على هذا، فإن مشروع ذي القرنين حمل خطابا دينيا قائما على التوحيد الخالص، وهذا التوحيد الخالص ليس مجرد فكرة وعقيدة، بل مشروع غير منفصل عن مشروعه الأرضي في العمران وإعطاء «قيمة مضافة» لموارد الطبيعة لجعل حياة الناس أفضل.

واقرأ معي  أيها القارئ الكريم- هذه السورة الكريمة مرة أخرى، خاصة أنها من السور المحبب قراءتها يوم الجمعة، وهو اليوم الذي أكتب فيه هذه المقالات، فسوف تجد أن معظم الأعمال الصالحة فيها هي من قبيل الأعمال القائمة على العلوم والمعارف، سواء كانت علوما ظاهرة أو علوما باطنة دفينة، تم تتويجها بعلوم ذي القرنين ذات المنافع الدنيوية. ولا أبالغ إذا قلت إن علوم الرجل الصالح التي تم ذكرها في هذه السورة الكريمة ذات منافع دنيوية.. أرجوك أيها القارئ أعد القراءة مرة أخرى حتى تجد مصداق ما أقوله لك.

ربما يأذن الله أن نعيد قراءتها معا في المقال القادم».